المنهج السلوكى

والتحولات فى علم السياسه التقليدى

الدكتور / عبد الغفار رشاد محمد

مقدمـــه :

ارتبط المنهج السلوكى بتحولات اساسيه فى علم السياسه التقليدى ، وبدرجه من التعقيد الفكرى ، والحوار الخلافى ، واتخذ مسيرتـه فى مراحل وتطورات انتقل فيها من مجرد محاولات فرديه محدوده ، ارتبطت فى البدايه باســـم شارلز مريم على وجه الخصوص ، الى مرحلة التحديد الذاتى ، وبحث دعاتـــه عن التعريف ، والافتراضـات والسمات والاهـداف المركزيه .

وبدات مرحلة يطرح فيها هذا المنهج تاثيراتـه وافرازاته بشكل مستمر ، لم ينقطع ، الامر الذى ادى الى نتائج هامه ، بالرغـم مما تعرض له المنهج السلوكى من انتقادات واعتراضات .
تهدف هذه الدراسه الى مناقشة اثر المنهج السلوكى على علم السياسة التقليـــدى .

وحـــدود هذه الدراسه ترتبط بعلم السياسه ، ليس منذ افلاطون ، وانمـــا ترتبط به فى مرحلته المعاصره من التطور ، سواء كان فى حقبته التقليديه ، او فـــى تحولاتـه التى تصاعدت واتسعت ابعادها منذ نهاية الحرب العالمية الثانيه بوجه خاص .

وهى دراسه منهجيه ، وللدراسه المنهجيه طبيعتها ، انها تتضمن مناقشة لادوات البحث ووسائلـه ووحداته ، لكنها اكثر من أن تقتصر على ذلك . والبحث المنهجى يجب ان يكون تحليليات قبل كل شىء فى اقترابه من الظاهره موضع الدراسه ، وهو يحدد للباحثين ما الذى قاموا به ؟

فالبحث المنهجى يهتم عادة ، بالافتراضات ، والاجراءات ، وطرق الوصف والتفسير وطبيعة النتائج التى تميز فريق او جماعه علميه معينه ، ان هدفه بيان النظام او الطريقه التى امكن من خلالها الوصول الى النتائج التى ظهرت من خلال الدراسات والجهـــود المبذوله . وليس هدفه بيان نوع النتائج : وهل هى مفضله ام غير مفضله .

ان الحوار العلمي مقبول ، وهو سبيل لاثراء المعرفه والبحث والتنظير ، ولكن الكثير من المناقشات قد تحمل قدرا من المبالغه ، او قد تفتقد الى الملاءمه ، وبعضا منها قد تكون مغلوطه ، او عقيمة غيرمثمره ، حول المنهج السلوكى ، وما اسفر عنه من تحولات وتبدلات ظاهره ، لايمكن تجاهلها ، او التقليل من مغزاها واهميتها .

من هنا اهمية بحث المنهج السلوكى ، فى دراسة علم السياسه :
ماهيته ، تطوره ، واصوله العميقه ، افرازاته والتحولات التى اطلقها فى علم السياسه الذى انتقل - بفضل هذه التحولات - من المعالجة التقليديه ، الى عهد جديد ، وايضا آفاقه والتوقعات بشان مستقبله .

فهل استطاع المنهج السلوكى فعلا ادخال النظرة العلميه الى التحليل السياسى ؟ واذا كان الامر بالايجاب : فهل هذا هو كل ما فعله المنهج السلوكى ؟ بمعنى آخر هل اقتصر دور المنهج السلوكى ، واهميته ، على تاكيد صفة العلم ، فى عبارة " علم السياسه " .

من ناحية أخرى ، هل ادى المنهج السلوكى ، وما ارتبط به من ادوات للتحليل ومفردات جديده ، الى الانتقاص من الطابع السياسى ، واختزال هذا الطابع ، لصالح سمات او طابع آخر ، ثقافى او اجتماعى او سيكلوجى ؟ واذا كان الامر بالايجاب فكيف السبيل الى الحفاظ على الطابع السياسى الاصيل ؟ ام ان المنهج السلوكى حمل توسيعا لافاق المعالجه السياسيه ، وارتيادا لآفاق جديده ، رحبه من البحث ؟

لقد شكل المنهج السلوكى " تحديا " لعلم السياسه التقليدى ، وجاء التحدى معارضه وجذريا ، ثم ارتبط بمشاعر من عدم الرضا ، والشعور بالنقص وخيبة الامل ، لدى الدراسات التقليديه ، ودعاتها ، والتى عجزت عن التعبير الواقعى ، وعن التحليل الامبيريقى ، من هنا بدأ تسلل واضح لعناصر من المنهج السلوكى ، بدأ ذلك على استحياء ، رويدا رويدا ، ثم ما لبث ان تحول هذا التسلل الى انسياب وتدفق لتاثيرات المنهج السلوكى .

فلم يعد علم السياسه هو ذلك العلم التقليدى الذى تقيده حدود قانونيه او شكليه ، او جغرافيه تحصره فى نظم اوربيه بعينها ، او سكونيه استاتيكيه تجعله عاجزا عن ان ينمو او يتطور ، فى وقت تطورت فيه العلوم الاجتماعيه الاخرى ، فى محاولة للحاق ، او على الاقل لمجاراة ومقاربة ، التطور فى العلوم الطبيعيه .

فأصبح علم السياسه اليوم مختلف تماما - مهما قيل عن انتقادات ، وجوانب قصور ، فى المنهج السلوكى - عن ذى قبل . اصبح علما له سماته ، وعناصره وملامحه ، الجديده ، التى لا سابق لها .

أولا : المنهج السلوكى : التعريف ، الافتراضات ، التطور

ماهية المنهج السلوكي فى علم السياسه :

يدور التساؤل حول ماهية المنهج السلوكى ، فى علم السياسه ؟
وماهى اهم افتراضاته ؟ وهل هناك اتفاق حول هذا التعريف ؟
وهذه الافتراضات ؟
كيف تطورت الدراسات المتعلقة بهذا المنهج ؟ متى وكيف دخلت الى علم السياسه؟
ماهى نقاط التحول ، فترات التحدى الاساسيه التى ارتبطت به ؟

هذه التساؤلات ، وغيرها ، طرحها اقطاب المدرسه السلوكيه ذاتها ، والكتاب الذين يمثلون اعمدة هذه المدرسه ، امثال ديفيد ايستون ، وهانز ايلو وروبرت داهل وغيرهم ممن اسهموا ، بطريقة او باخرى ، فى بلورة وتطور هذه المدرسه ، وايضا فى انتقادها ، وبيان اوجه النقص فيها .

الانسان هو الاصل ، هو الذى بنى الامم والحضارات ، وخلق العادات والمؤسسات وابتكر الرموز والدساتير ، وصنع الحروب والثورات والسلام ، يقول ايلو : انه لايعتقد ان بالامكان قول اى شىء ذو مغزى حول حكم الانسان دون الحديث عن السلوك السياسى للانسان :
تصرفاته ، اهدافه ، مشاعره ، معتقداته ، التزاماته ، وقيمه .(١)

ويتفق مع ايلو فى ذلك ايستون الذى يرى ان موضوع البحث الاساسى يصبح هو السلوك الانسانى ، الذى يقبل الخضوع للملاحظه ، وهذا السلوك يمثل الاستجابه التى منشأها مثيرما . وقد تحول النموذج الاصلى للتحليل السلوكى (مثير ـ استجابه) الى نموذج (مثير ـ كائن حى ـ استجابه) بمعنى انه اصبح يؤخذ فى الاعتبار كل مشاعر وتصرفات هذا الكائن ، الذى هو الانسان ، وخبراته ، وجوانب وعيه وادراكه ، وتفاعله ، وغيرها من عوامل ترتبط به ، وتؤثر فى شكل استجابته ، او سلوكه ، كبيانات للدراسه ، بشكل اساسى .(٢)

ويعتقد داهل ان السمه الاكثر اثاره للمنهج السلوكي في علم السياسه هي غموض المصطلح ذاته ، ومرادفه " السلوك السياسي " . فالمنهج السلوكي من الصعب تحديد ما ذا يكون ؟ بينما يمكن بدرجة من الثقه تحديد ماذا لايكون ؟ ويقرر داهل بناء على ذلك ان المنهج السلوكي ليس بالتاكيد منهج فيلسوف متأمل ، او عالم تاريخ ، او عالم قانون ، ويتساءل : فماذا يكون اذن ؟ بل يستطرد : فهل هو موجود فعلا في الحقيقه ؟ (٣)

ويشير ايستون الى الاختلاط الكبير في استخدام المصطلحات التي يضاف اليها ، او تحمل ، صفة سلوكي ، او سلوكيه ، كالمذهب السلوكي او المدرسه السلوكيه او العلوم السلوكيه او السلوك السياسي ، ويتفرع عن هذا اختلاط وفهم خاطئ لمؤسسات او عناوين ، او مطبوعات بدوريات تسمى نفسها سلوكيه . ويؤكد ان تعبير المذهب السلوكي او المدرسه السلوكيه تعبير جديد ، وهو يشير الى ذلك المنهج المشترك في مختلف العلوم الاجتماعيه ، ولكن هذا التعبير يفتقر — في راى ايستون — الى الملاءمه ، والكثيرون يحرصون على تجنبه كلما كان هذا ممكنا . (٤) ويتساءل عما اذا كانت السلوكيه تمثل تيارا او اتجاها فكريا ، او حركة لها مؤيديها والمتادين بها ، وانصارها المرتبطين بها . (٥)

ان هناك صعوبه مردها ان المنهج ما يزال جديدا ، وحدوده محدده بشكل هلامي غير واضح او مبلور ، واحيانا تثور الشكوك حول امكانية تحقيق اجماع او اتفاق عام حول جوانبه وافتراضاته ، بل وماهيته .

ان قليل من البحث يكشف عن تفسيرات مختلفه ، واحيانا متناقضه تميز المنهج السلوكي ، وفي الحقيقه منذ بدايته (٦) من هنا قد لايمكن القول بوجود اتفاق عام مشترك واضح يجمع بين السلوكيين في علم السياسه ، كالمشاركه في افتراضات متشابهه او في نماذج وتحليلات مشتركة ، او وجود رموز وقيم فكريه محدده ومعترف بها ، ناهيك عن وضوح الانتماء وتبلور الشعور بالترابط بين هؤلاء ، ولم يستطع هؤلاء ترسيخ تقاليد واضحه تجمع بينهم .

لذلك يصف بعض الكتاب مصطلح " السلوكيه " بالاتساع ، بل وكنوع من مظلة تكفي لتغطية مجموعة متباينه غير متجانسه ، من كتاب لايجمع بينهم سوى عدم الرضا

من الجوانب العديده التى ارتبطت بعلم السياسه فى مرحلة من مراحل تطوره . (٨)

ولاحظ كافناج ان معظم الكتاب السلوكيين تجنبوا تحديد او تعريف المذهب السلوكى ، وبدلا من التعريف المحدد ، والدقيق ، للسلوكيه ، تناولوا المنهج ، والاتجاه والطريقه ، والتوجه ، والقناعه السلوكيه ، وهذه المصطلحات كلها ، وان وجهت الاهتمام الى المنهج والطريقه السلوكيه ، فانها لم تتناول جوهر وماهية البحث السلوكى ، انها اقتصرت فحسب على سمات ترتبط بتكنيكات البحث التى تميز الدراسات السلوكيه . (٩)

يثير كثير من الباحثين تساؤلا صريحا حول ماهية المنهج السلوكى ، فماذا يكون هذا المنهج السلوكى فى علم السياسه ؟ (١٠)

ويجيب داهل على هذا السؤال من خلال رؤيته للمنهج السلوكى باعتباره كان يشكل - تاريخيا - حركة معارضه داخل علم السياسه ، وارتبطت مصطلحات كالسلوك السياسى والمنهج السلوكى ، بعدد من علماء السياسه ، اساسا امريكيين ، والذين يجمعهم معا شعور قوى بعدم الرضا عن انجازات علم السياسه ، خلال معالجاته وموضوعاته المعتاده او التقليديه ، قبل التطور الذى ادخلته تلك التاثيرات والمصطلحات ، وخصوصا من خلال المناهج التاريخيه والفلسفيه والوصفيه والمؤسسيه ، ويجمعهم ايضا الاعتقاد بان ثمة ضروره ملحه لوجود مناهج وطرق جديده للبحث ، لتذوده علم السياسه بالافتراضات الامبريقيه ، ونظريات لها طابعها النظامى ، توضح تحت الاختبار عن طريق الملاحظه القريبه المباشره ، والدقيقه المضبوطه او المحكومه ، للاحداث والوقائع السياسيه . (١١) او على اقل التقديرات فان اولئك الذين اطلق عليهم صفة السلوكيين جمعهم قاسم مشترك نتيجة شكوكهم فى الانجازات الفكريه لعلم السياسه ، كما كان قائما فى مرحلتها التقليديه السابقه ، ونتيجة تعاطفهم مع الطرق العلميه للبحث والتحقيق ، وماتثيره هذه الطرق من امكانيات واحتمالات لتطوير واثراء دراسة السياسه . (١٢)

بين المنهج السلوكى ، والطابع ، او القناعة السلوكيه :

لكن هل هذه الشكوك ، والميل او الشعور بالتعاطف والاستحسان ، على حد تعبير داهل (١٣) ، هو ما يشكل المنهج السلوكى ؟ ام ان المنهج السلوكى هو اكثر

من مجرد مثل هذا الميل او الشعور او مثل هذه القناعه ؟

يعتقد داهل بوجود ثلاث اجابات عن هذا السؤال ، بين اولئك الذين يستخدمون المصطلح بقدر من العنايه والتدقيق :

اولا : هناك من يجب عن هذا السؤال بالنفي المطلب ، وفي سياق هذا النفي التام يورد اهل امثله لكتاب ، امثال دايك (١٤) في كتابه " علم السياسه : تحليل فلسفي " الذي يعتقد ان تعريفات السلوك السياسي بالرغم من انها قد تبدو متقدمه ، الا انها لاتستطيع ان تحقق تداولا عاما . وامثلة اخرى تنكر ان المصطلح يشير الى مسالة اوموضوع يخضع للبحث ، او الى بؤرة للتكامل المنهجي ، والى اي جهد محدد لمناهج جديده ، او الى علم النفس السلوكي ، او الى الواقعيه في مقابل المثاليه ، او الى الامبيريقيه ، او الى السلوك التصويتي ، او الى اي شيء اخر اكثر من علم السياسه ذاته ، في الواقع وفق تفضيلات بعض الناس ، او ميلهم لما يفضلونه ان يكون عليه . (١٥)

ثانيا : وهناك ، من يعتقد ان المنهج السلوكي ليس اكثر من هذا الشعور او الميل العام . وفي هذا المعنى يصبح المنهج السلوكي بمثابة محاولة لتطوير وتحسين فهمنا وادراكنا للسياسه ، بالبحث عن تفسير الجوانب الامبيريقيه للحياة السياسيه بواسطة مناهج ونظريات ، ومعايير للتحقق واختبار الصدق ، او صحة الافتراضات ، وفق مبادىء وقواعد محدده ، وتقاليد واسس العلم الامبيريقي الحديث . اي ان المنهج السلوكي مصمم اساسا من اجل تحقيق غرض محدد وهو السمه العلميه . (١٦) بعبارة أخرى جعل الدراسه السياسيه اكثر علميه ، وابراز الجانب الامبيريقي للبحث السياسي ويشير داهل الى امكانية تتبع التطورات التي قادت الى مثل هذه الرؤيه الى المنهج السلوكي .

ثالثا : وهناك من يقدم اجابه تفيد الايجاب المطلق عن هذا السؤال ، بمعنى الموافقه التامه على ان السلوك السياسي — وفق هذا الراي — يشير الى دراسة الافراد اساسا وليس دراسة الوحدات السياسيه الاوسع . (١٧)

ويشيد داهل بافكار ديفيد ترومان ، التي ترجع الى عام ١٩٥١ ، والتي تحمل نوعا من تعريف الذات ، او التصحيح الذاتي ، لمفهوم السلوكيه . (١٨)

اشار ترومان الى التعسف في تعريف مصطلح السلوك السياسي ، باعتباره يتضمن تلك التصرفات والتفاعلات بين الافراد والجماعات ، والتي تتضمنها عمليات الحكم وهو تعريف يوسع من مصطلح السلوك السياسي الى حد يسمح ، وفقا له ، باعتبار اي انشطه بشريه تتعلق بالحكم ، او تعتبر جزءا من الحكم ، تندرج تحته .

فالصحيح هو ان السلوك السياسي ليس حقلا للعلم الاجتماعي ، وليس حتى مجالا لعلم السياسه . ان السلوك السياسي ليس ، ويجب ان لايكون كذلك . انه انما يمثل توجها ، او وجهة نظر ، يهدف الاحاطه بظاهرة الحكم ، والتعبير عنها في شكل سلوك للافراد ، سلوك يمكن ان يكون موضع الملاحظه . (١٩)

ومعالجة السلوك السياسي كحقل او فرع من فروع علم السياسه ، يفترض انه منعزل عن الفروع الاخرى ، كالعلاقات الدوليه والحكم المحلي والدوله وما الى ذلك ، مثل هذه المعالجه تعني في راي ترومان الاخفاق في الهدف الرئيسي ، الا وهو تنقيح وتوسيع مجالات وحقول الدراسه في علم السياسه .

ويؤكد ترومان على ان التطورات المتلاحقه التي تفرض الاهتمام بالسلوك السياسي تؤكد على ضرورتين اساسيتين ، هما من متطلبات البحث الملائم ،

اولاهما : ان البحث يجب ان يكون نظاميا بمعنى ان البحث يجب ان ينبني افتراضات وتعبيرات دقيقه عن الافتراضات ، وتنظيم دقيق للشواهد .

وثانيهما : ان البحث في السلوك السياسي يجب ان يعطي تاكيدا اوليا على المناهج الامبيريقيه . لكن هذه المناهج الامبيريقيه يجب توضيحها وترشدها نظريه ملائمه ، والا فانها تكون غير مثمره او مفيده ، وعلى نحو مماثل فان التامل الذي لايمكن ان يخضع للاختبار الامبيريقي سيكون غير مثمر او مفيد .

التطور فى الاتجاه الى المنهج السلوكى :-

يعد استخدام مصطلح السلوك السياسى قصيرا فى عمره الزمنى ، لكن الاتجاه اليه يمثل تاريخا طويلا . (٢٠) ولعل الدعوه الى الاهتمام والتركيز على الجانب السيكلوجى للنشاط السياسى ترجع فى بدايتها الى عام ١٩٠٨ حينما اوضح جراهام والاس فى كتابه " الطبيعه الانسانيه فى علم السياسه " عدم رضاه عن ظروف علم السياسه فى عصره . (٢١) وفى نفس العام ركز بنتلى فى كتاب له بعنوان " عملية الحكومه " على دراسة السلوك الانسانى فى مختلف انماط المؤسسات ، وعلى العلاقات الوظيفيه وعمليات الجماعات ، كبؤرة صحيحه لعلم السياسه . (٢٢)

وقد تنبأ شارلز مريم بتزايد الاهتمام بالبعد السلوكى فى العملية السياسيه ، وستقدم المنهج السلوكى الى علم السياسه (٢٣) . ونشر فى عام ١٩٣٢ مقالا دعا فيه الى الاهتمام المتزايد بمناهج ونتائج البحوث فى علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى وعلم الاحياء (٢٤)

لذلك تتجه معظم الاراء الى ان بداية البحث السلوكى انما ترجع الى اوائل القرن العشرين (٢٥) ، ويؤكد ايستون ان علماء السياسه الامريكيين قد استخدموا مصطلح السلوك السياسى منذ الحرب العالميه الاولى . (٢٦) ويعتقد داهل ان بداية المنهج السلوكى فى علم السياسه ، خصوصا فى الولايات المتحده ، ترجع الى عشرينات القرن العشرين (٢٧) .

وقد اعتمد الازدهار السريع للمنهج السلوكى - فى علم السياسه الامريكى وفق راى داهل - على عدد من الاتجاهات والافتراضات الاساسيه التى تولدت فى الثقافه الامريكيه ، كالثقه فى العلم ، والبراجماتية ، والعقليه الوثائقيه ، وما الى ذلك .

ويعتبر شارلز مريم ابرز من اثروا فى علم السياسه الجديد (٢٨) ، وكذلك هارولد لاسويل ، وجورج كاتلن (٢٩) .

وقد اشار مريم فى المقال الذى نشره فى عام ١٩٢١ الى اهمية مقارنة علم السياسه بما وصلت اليها العلوم الاخرى ، واشار فى عام ١٩٢٥ الى الحاجه الى منهج مختلف فى علم السياسه ، كما حدث فى العلوم الاخرى ، يختلف عن المنهج الشكلى ويبدأ فى بحث

السلوك السياسى ، باعتباره واحدا من الموضوعات الرئيسيه للمعالجه (٣٠) . وقد ظهر فى هذا العام ١٩٢٥ كتاب " اوجه جديده لعلم السياسه " ليثبت ان مريـــم ، هو ابو المنهج السلوكى ، بتفسيره ، ودعوته لاغلب الاهداف المميزه ، والمبـررات ، والافتراضات والاجراءات والتاكيدات التى ترتبط بهذا المنهج السلوكى (٣١) . وفى عام ١٩٢٦ ، وتحت قيادة مريم ، بدات الجهود لما سمى فيما بعد بالمنهج السلوكى وشارك فى هذه الجهود ، او انضم اليها ، العديد من علماء السياسه الذين اعتبروا روادا لادخال هذا المنهج الى علم السياسه ، وفى مقدمتهم ديفيد ترومان و هـربرت سيمون وجبريل الونـــد (٣٢) .

كذلك برز تاثير هارولد لاسويل ، تلميذ مريم اللامـع ، والذى اكد مبكرا ، فـى العام ١٩٣٠ على اهمية استخدام الفئات السيكلوجيه فى دراسة السياسه ، وعلى وحدة العلوم الاجتماعيه ، وعلى منفعية ، واجتمال وامكانية المعالجة الكميه للبيانات فى علـم السياسه (٣٣) . كذلك كتابات جورج كاتلن (٣٤) ، وان كانت اقل اهمية من كتابات لاسويل ، الا انها تعكس ، كما فعل لاسويل ، النظره التى تركز على علاقات القـــوه باعتبارها جوهر اهتمام علم السياسه (٣٥) . فكان اثر هؤلاء الكتاب على علم السياسه مباشرا ، كما أثروا فى تطور العلوم الاجتماعيه الاخرى على نطاق واسع ، فاسهامـات لاسويل فى علم النفس الاجتماعى وفى الانثربولوجيا لها اهميتها الاساسيه (٣٦) .

من ناحية اخرى كان هناك تاثير واضح لعدد من الباحثين الاوربيين الذين لجأوا الى الولايات المتحده فى الثلاثينات ، خصوصا من العلماء الالمان ، الذين نقلـوا معهم المنهج السوسيولوجى الى علم السياسه ، والذى يعكس بقوه تاثير ماكس فيبـر على وجه الخصوص ، وتاثير علم الاجتماع الاوربى عامه (٣٧) . وادى هذا التاثـــير الاوربى الى اثراء وازدهار لعلم السياسه ، فى الجامعات الامريكيه ، خصوصا وان الكثير من هؤلاء العلماء قد احتلوا مراكز قياديه فى تلك الجامعات (٣٨) ، واشـــاروا الانتباه الى اهمية لوركس ودوركايم وفرويد وباريتو وموسكا وشلز وغيرهم .

ورغم ان بعض هؤلاء قد رفض المنهج السلوكى ، باعتباره يضيق فى رايهم من نطاق البحث السياسى الى حد كبير ، فان تاثيرهم ظل واضحا ، كما بدأ علم الاجتماع السياسى فى الازدهار . والحقيقه ان علماء السياسه بدأوا يكتشفون ان زملاء لهم فى علم الاجتماع

وقد تحركوا في سرعة ومهارة الى مجالات طالما اعتبرها علماء السياسة مجالا خاصا بدراساتهم (٣٩)!

تمثل الحرب العالمية الثانية نقطة تحول (٤٠)، وقد اشار داهل الى ان هذه الحرب خلقت دافعا قويا لتطوير المنهج السلوكي، لان اعدادا كبيرة، وبشكل واضح للغاية، من علماء السياسة، والذين طالما عاشوا في ابراجهم العاجية، منعزلين عن عالم الواقع، بدأوا يواجهون مشاكل الحياة السياسية التي تحدث في ارض الواقع كل يوم وبدأ جيل كامل من علماء السياسة يستفيدون في الواقع من هذه التجارب والخبرات وتعزز شعور قوي بعدم كفاية المناهج المعتادة في علم السياسة لوصف الواقع ناهيك عن التنبؤ بأية نتائج محتمل وقوعها (٤١). لقد اخذ تطور السلوكية في علم السياسة ابعادا جديدة منذ منتصف القرن العشرين خاصة، وان كان هذا التطور يعود الى بداية القرن (٤٢).

وفي عام ١٩٤٩ بدأ نشاط مكثف، استهل بمؤتمر حول السلوك السياسي (٤٣)، واصبح هدف النشاط اكثر طموحا لتطوير نظرية وتحسين المناهج التي تنشأ الحاجة اليها واستكشاف ماذا كانت بحوث العلوم الاجتماعية قد اثبتت فاعليتها في العملية السياسية (٤٤) واصبح علماء السياسة غير راضين بالمناهج التقليدية السائدة، والطرق المعتادة للبحث في علم السياسة، وصاحب هذا تكريس مزيد من الاهتمام بالمناهج الجديدة، واصبح هناك استخداما واسعا لمنهج المسح وللدراسات الميدانية، وتحليل البيانات، كادوات متاحة لدراسة الاختيارات السياسية، والاتجاهات السياسية، وخصوصا سلوك الناخبين اثبتت انها اكثر دقة واكثر علمية، خصوصا مع تطور البحوث والادوات المستخدمة والمهارات في هذا المجال (٤٥).

يتساءل ايستون: لماذا في لحظة معينة من تطور العلوم الاجتماعية فان جانبا هاما من هذه العلوم يصبح لهاسم العلوم السلوكية (٤٦)؟

يعتقد ايستون ان وجود مصطلحات جديدة، تعكس حقيقة كونها جزءا لا يتجزأ من البحث الاجتماعي المعاصر، مثل واحدة من ابرز نقاط التحول في العلوم السلوكية وذلك لانه في المقام الاول، وجد اهتمام كبير، ووعي بالنظرية الامبيريقية في كل مستوياتها، سواء على المستوى المتوسط او المستوى العام، وهذا ما يمكن ايجازه مبدئيا في " افتراضات قابلة للاختبار ".

وثانيا " وكجزء من هذا التحول ،فان العلوم الاجتماعيه اضطرت الى ان تواجه مشكلة تحديد وحدات مستقره للتحليل ،والتى يمكن ان تلعب دورا محتملا فى البحث الاجتماعى وهو الدور الذى تلعبه " جزئيات او ذرات الماده " فى العلوم الطبيعيه (٤٧).

ويؤكد ايستون على حقيقة التكامل بين العلوم الاجتماعيه ،والذى يتحقق على مستويات مختلفه ، اول هذه المستويات ،وعلى الصعيد التطبيقى ، فان المعرفه والبيانات المستمده من العلوم الاجتماعيه جميعها تسهم فى حل المشكلات الاجتماعيه ككل اى ان التكامل والتوحيد قد حدث فى العمل ،فى مجالات كالسلام والبطاله والاسكان وما الى ذلك ، فلم تكن مسائل سياسيه فقط ، اوسوسيولوجيه فقط ،واتضح ان استخدام المعرفه انما يستند الى تلك العلوم معا . ومعنى هذا ان فرق من المتخصصين فى هذه العلوم اخذت تعمل مع بعضها البعض لتحقيق اهداف معينه ،الامر الذى فرض التكامل بينها (٤٨). والمستوى الثانى الذى قد يوضح هذا التكامل ،هو مستوى التدريب على البحوث ، فالطلاب وفق هذا المستوى لا يتلقون علما معينا ، وانما مشكلات اجتماعيه بهدف ان يتعلم هؤلاء طرق تحليل البيانات ، فى اى مجال من مجالات المعرفه ،وبحث ما هو ملائم ،بمعنى آخر فانه يفترض ان هؤلاء الطلاب سوف يتجاهلون الحدود التى تفصل بين العلوم الاجتماعيه ،ويعتبرون انفسهم علماء اجتماعيين . وفى مستوى ثالث فان التدريب قد يكون فى اطار علم معين من هذه العلوم الاجتماعيه فى توجهاته ومشاكله ، لنفس الشخص الذى يتلقى التدريب ، لكن من حيث الواقع والنتيجه ،فانه يعتمد على توليفه لعدد من المجالات والتخصصات ، والتكامل بينها

وكل مستوى من هذه المستويات الثلاث السابقه ترك اثرا على مضمون وطريقة تدريب العلماء الاجتماعيين المعاصرين ، وكل منها ساعد على خلق صورة ذاتيه للعلوم الاجتماعيه على الاقل بالنظر الى الصلات فيما بينها . ولكن اى من هذه المسارات لم يقود الى اى توحيد او اندماج للعلوم الاجتماعيه ،لكنها تركت الطريق مفتوحا امام البحث من اجل وسيله للتوليف الاصيل بين هذه العلوم ، ومن ثم الاقتراب من المستوى الرابع الممكن للتاكامل (٤٩) والفكرة الاساسيه هنا هو الاقتناع بوجود ادوات للتحليل تتعلق بالسلوك السياسى يمكن ان تنشأ عنها تعميمات قد تسهم فى توفير قاعدة عامه تقوم عليها

العلوم المتخصصه بشان الانسان فى المجتمع (٥٠). لقد اشار داهل الى اهمية هارولد لاسويل (٥١) ،واكد ايستون ايضا هذه الاهميه بشكل واضح ،خصوصا فى مجال الجمع بين النظريه والبحث الامبيريقى معـــا (٥٢).

لقد انشغل علماء السياسه ،تحت المظلة السلوكيه ، بتعلم مفردات جديده للتحليـل واعادة النظر فى ادوات البحث المستخدمه ،وممارسة نوع جديد من المعالجه ، والمناهج والبيانات والنتائج المرتبطه بها ،واستيعاب الافتراضات الاساسيه للمنهج العلمى .

ولكى يمكن اعطاء السلوك موضع الدراسه معنى ،ينبغى ان يرتبط بنوع او آخـــر من السياق النظرى الامبيريقى (٥٣) ولعل التقدم ما يزال بطيئا ،وقد لايكون ملحوظا احيانا ، من حيث جعل البحث ذات توجهات نظريه اكثر فائده . وربما كان انشغال علماء السياسه بادوات البحث ولغة التحليل الجديده قد جعلهم على غير وعى بالتقـدم الذى تحقق ببطء فى اتجاه تاكيد هذه التوجهات النظريه للبحث السياسى . ويبـدو ان الانشغال التقليدى الطويل فى علم السياسه ببناء او تطوير النظريه قد خلق ميـــولا او انطباعا ، وحساسيه خاصـه تجاه المضامين النظريه للاتجاهات السلوكيه ،ويبدو ان علماء السياسه ، بوجه عام صريح منهم ،قد ابدوا استجابه لهذه الميول (٥٤) .

المفردات والاطر النظرية الجديده :

ويعتقد ديفيد ايستون ان هارولد لاسويل هو وحده الذى تحمل منذ الاربعينات عبء البحث عن نسيج متماسك يحقق الجمع بين النظريه من جهه ، والبحث الامبيريقى من جهة اخرى معا (٥٥) وهذا الجمع يعتبره ايستون مهمة بالغه الصعوبه ، والاهميه لانها تحقق لعلم السياسه اجتياز مرحلتين فى تزامن واحد .

ففى علم السياسه لم تتتابع بشكل منظم خطوات تطور المنهج العلمى ، بينمـــا لاحظ ايستون ان العلوم الاخرى التى تشكل الجوهر او الاساس للعلوم السلوكيه : خصوصا علم الاجتماع وعلم النفس ، قد شهدت تطورا ونضجا ، وان كان بطيئا ، فـــى ادوات البحث الامبيريقى بهما قبل الحرب العالمية الثانيه (٥٦) .

فعلماء السياسه حاولوا استخدام المنهج العلمى فى نفس الوقت تقريبا الذى تحولت فيه العلوم الاجتماعيه ككل من مرحلة التاكيد فيها على مناهج البحث فحسب ، الى مرحلة التاكيد فيها على مناهج البحث ، وعلى النظريه جنبا الى جنب . اى ان علم السياسه ربط المرحلتين فى مرحلة واحده ، اى قفز تلك الفتره من التطور ، والتجارب ، التى اجتازتها العلوم التى تشكل لب او جوهر العلوم السلوكيه ـ وفى الحقيقه العلوم الاجتماعيه ككل ـ منذ ما قبل الحرب العالمية الثانيه (٥٧) . والتى لم تشهد ذلك التطور المتزامن فى جانبى المنهج العلمى وبناء النظريه ، كما هو الحال فى علم السياسه والذى اجتاز ، فى راى ايستون ، ثورتين فى آن واحد (٥٨) .

ولم يستطع هارولد لاسويل وحده طويلا فى محاولته البحث عن توليفه تجمع بين النظريه من جهه ، والبحث الامبيريقى من جهة ثانيه ، فمع نهاية الحرب العالميه الثانيه كان معه هربرت سيمون ، وامكن ادخال " القرار " ليصبح وحده رئيسيه للتحليل الامر الذى شكل اسهاما ودفعا لتلك المحاوله ، واهمية نظرية وامبيريقيه (٥٩) .

ويعتبر تناول صنع القرار ، فى راى سيمون ، ليس مجرد معالجه لجانب خاص من العملية السياسيه ، وانما يمثل معالجة لجوهر هذه العمليه السياسيه ، واللب المركزى لها (٦٠) . واصبحت عمليات التصويت والاداره والقضاء وغيرها يجرى ادراكها على انها دائما عمليات لصنع القرار . وادوات التحليل السياسى القانونيه والتاريخيه والسلوكيه امكن تبنيها دائما لتحليل القرار .

ويؤكد سيمون انه اطار صنع القرار من اجل البحث السياسى لا يعتبر جديدا ، وانما يمثل تطورا مستمرا عبر خطوات ترجع جذورها الى بداية علم السياسه ذاته (٦١) .

ويؤكد ايستون ان استخدام "القرار" كوحده مركزيه انتشر بسرعه الى مجالات علم السياسه الاخرى ، والى المجالات الاخرى للعلوم الاجتماعيه ايضا ، فاصبح مفهوم صنع القرار ، ربما ، المفهوم الاكثر عموميه فى البحث السياسى (٦٢) . ويتم تبنى هذا المفهوم ـ وفى تعبيرات ايستون ـ بطريقة نظاميه ، وجاده ، للبحث فى العمليات والبنيه السياسيه ، وفى الفهم الامبيريقى للعلاقات الدوليه ، وفى مستوى رسمى ، فى

فى منطق الاختيار ، كما يتضح فى نظرية المباريات . كما ان البحوث فى التصويت اتجهت ، تحت تاثير علم النفس ، الى الاهتمام بمفهوم الاختيار والقرار ايضا ، فالصوت الانتخابى اصبح ينظر اليه باعتباره يحمل طابع القرار والاختيار بين بدائل ، وما يرتبط بذلك من توقعات ، وهو مركب من العوامل . كما استخدم منهج صنع القرار فى بحوث العمليات السياسيه العامه ، وفى دراسات السياسات العامه . واعرب ايستون عن اعتقاده بان توجه ومنهج صنع القرار قد اخذ يفقد دافعه الاصلى ليس بسبب انه غير متكافئ مع المهام المنوطه به ، ولكن لان نقاطه الرئيسيه قد تم استيعابها فى التيار السائد للبحث السياسى (٦٣) .

وجرى اقتراح وصياغة وحدات اخرى للتحليل ، من اجل دراسة السلوك السياسى ، منها مفهوم الجماعه ، والذى يرجع تفضيلتنقيحه وجعله اكثر قابليه للاستخدام للاغراض النظريه فى البحث السياسى الى ديفيد ترومان .

ويشير مكريديس الى اهمية نظرية الجماعه ، باعتبارها اكثر ملائمة ، وعلمية ، وشمولا فى البحث السياسى ، فهى توجه باحثى السياسه المقارنه الى دراسة تركيبات او كيانات ملموسه قابله للملاحظه ، هى الجماعات ، وتقودهم مباشرة الى امكانية التفسير ، وتراكم البيانات ، وبالرغم من ان الطريق الى نظرية فى السياسه المقارنه طريق طويل ، فعندما تحين لحظه الاختبار الحقيقى ، لاهمية النظريه ، وامكانية العمل الميدانى ، فان الجماعات تثبت انها ذات اهميه دائمه ، بالمقارنه بالابنية ووحدات النسق الاخرى (٦٤) .

وتبرز اهمية الاسهام الذى اضافه الموند بادخاله وحدات جديده للتحليل ، وافكار جديده كالنظم والثقافه والوظيفه والبنيه ، الى اطار المفاهيم النظريه الملائم بوجه خاص للتحليل وللبحث المقارن ، واكد ايستون اهمية المفهوم الذى عالجه كارل دويتش نظاميا حول الرساله وموقعها من عملية الاتصال ، كوحده اساسيه لنوع من التحليل يقوم فى اتجاه نظرية للاتصال السياسى (٦٥) .

وايستون نفسه استخدم مفهوم النظام كوحده اساسيه للتحليل ، مركزا على الحياه السياسيه كنظام للسلوك يعمل بداخلها ، ويستجيب للبيئه الاجتماعيه ، بينما يحتمل

هذا النظام على توزيع و تخصيص القيم (٦٦) .

وهذا يشير الى الاهتمام المتزايد بمفاهيم موجهه وجهه سلوكيه وامبيريقية فى البحث السياسى ، والى توافر مجموعه متنوعه من وحدات التحليل البديله ، والى امكانية افضل لتهيئ تلك الجهود التى تبذل من اجل تنقيح ، او وصف حدود علم السياسه كحقل لدراسة ظواهر محدده نسبيا (٦٧) .

لقد اصبح اساتذة العلوم السياسيه الراديكاليين فى عقد الثلاثينات ، خلال عقدين روادا مؤسسين لعلم السياسه فى تطوره المعاصر (٦٨) . وكمحصلة لتطور استمر نحو ثلاث عقود ، نما المنهج السلوكى وتطور من مجرد وجهة نظر لفئه محدوده من العلماء تمثل استثناءا ، او انحرافا عن التيار العام السائد ، الى ان اصبح له تاثيراته العامه الواسعه ، ويحظى باهتمام اخذ يتزايد بشكل مطرد (٦٩) .

لقد ارتبطت السلوكيه ، نظرا لاستمرارية تاثيراتها واسهاماتها ، لفترة طويله ممتده بالتيار السائد لعلم السياسه الامريكى بوجه خاص ، واتسع المنهج السلوكى بشكل كبير (٧٠) وانتشر التوجه السلوكى سريعا ، بالاضافه الى اثراءه ومساهماته المتزايده للمعرفة فى علم السياسه .

ويمكن ايجاز اهم اسباب هذا الانتشار السريع للمنهج السلوكى ، والتوجه السلوكى ، فى علم السياسه ، على النحو التالى :-

١- ان السلوكيه لها جذورها العميقه فى علم السياسه ، ترجع على الاقل الى بداية القرن العشرين ، وتتضمن اغلب الباحثين المتميزين فى حقل علم السياسه .

٢- انها حركة علم السياسه فى نفس الاتجاه الذى تتحرك فيه العلوم الاجتماعية الاخرى

٣- انها ترتبط بادوات جديده للبحث ، كالمسح والاستبيان والتحليل الاحصائى والتطبيقات الرياضيه ، التى تمثل بلا شك اهمية لاى علم تتم فى اطاره دراسة التجمعات الجماهيريه . وقد اصبحت التكنيكات والادوات الجديده جزء لا ينفصم عن العلوم الاخرى ، او عن الحياه المعاصره عموما (٧١) .

٤- وجدت مصادر التمويل ، والدعم التطبيقي ، في [illegible] .

٥- ارتبطت الحركة بكثير من علماء السياسه ذوى المقدره العاليه ، والانتاج الفكري المتميز ، والوفير .

٦ - تاثر الكثيرين من الباحثين التقليديين المتميزين ، بالافكار الجديده ، وأرادوا منحهم الفرصة للتطوير .

٧- نشات اثاره ، وحركة ديناميه بين الباحثين ، وطلاب الدراسات العليا ، من خلال الدراسات السلوكيه المبكره .

٨- افرزت الحركه مفاهيم ومناهج وادوات واهداف ونتائج ملائمه بشكل مركزى لعلم السياسه كما يدركها الاغلبية العظمى من علماء السياسه (٧٢) .

وكنتيجة لذلك حققت السلوكيه قدرا كبيرا من النجاح ، وحظيت بمزيد من الاحترام والتقدير لانجازاتها (٧٣) .

ويتضح للباحث المدقق حقيقتان :

اولاهما : انه بالرغم من انجازاتها ومكانتها ، واستيعابها فى حقل علم السياسه ، فان المنهاجية السلوكيه لم تسيطر على حقل علم السياسه كاملا .

ثانيهما : ان تاثيرات جاءت بكاملها من خارجها كانت مسئوله عن بعض تغيرا حدثت (٧٤) .

ثانيا : ادخال النظره العلميه الى دراسة السياسه :

يدور البحث حول المقوله التى ترجح الى التوجه السلوكى فضل ادخال النظره العلميه الى دراسة السياســـه .

فهل ادى التوجه السلوكى فعلا الى ادخال ، وتاكيد مفهوم ومقومـات " العلم " الى هذه الدراســه ؟

وهل كان من شان ذلك اختزال ، وانتقاص ، طابع السياسه من حقل البحـــث والدراسات فى علم السياسه ؟

هل ادى المنهج السلوكى الى ادخال النظره العلميه :

يعتقد داهل انه قد يكون من الافضل استخدام مصطلح الطابع السلوكى ، او النظره العلميه ، بدلا من مصطلح المنهج السلوكى ، ووفق ذلك فان المنهج السلوكى قد يمكن تفسيره باعتباره ليس اكثر من تاكيد مصطلح " العلم " فى الجمله " علم السياسه " (٧٥)

وكان ترومان قد اثار الاهتمام بالتقدم الذى احرزته العلوم الاجتماعيه الاخرى ، واشار الى ان توجه السلوك السياسى انما يهدف بالضرورة الى الاسلوب الكمى حيثمـــا كان ذلك ممكنا . ولكن باحث السلوك السياسى يتناول المؤسسات السياسيه ، وهـــو مضطر الى انجاز مهمته فى شكل كمى اذا استطاع ذلك ، وفى شكل كيفى اذا كـــان يجب عليه ذلك .

واشار ترومان الى ان معالجة التساؤل : كيف يتصرف الانسان ؟ ليس موضـــوع اهتمام البحث فى السلوك السياسى ، وانما التاكيد على اهمية دراسة القيم باعتبارها من المحددات الهامه لسلوك الانسان (٧٦) . ولاحظ انه فى بحث السلـــوك السياسى ، كما فى العلوم الطبيعيه ، فان قيم الباحث قد تلعب دورا هاما فى اختيـاره الموضوعات ، وخطوط المعالجه (٧٧) .

يوضح ديفيد ايستون الاسس الفكريه التى تشكل قوام تلك " الحركه " التى يسميهـا بالحركة السلوكيه ، فى شكل عدد من الاهداف والمقومات (٧٨) ، التى ينظر اليهـــا

باعتبارها محاولة للتمييز بين ما يعتقده اصحاب المدرسه السلوكيه ، وما يميز منهجهم مقارنـــــــة بالمنهج التقليدى فى علم السياسه (٧٩) . ومن هذه المقومات ، والاهداف او الافتراضات :

١ــ ان هناك مظاهر للتماثل ، واوجه للانتظام يحملها السلوك السياسى ،وهذه المظاهر والاوجه يمكن التعبير عنها فى شكل تعميمات ، او نظريات ، ذات قيمه تفسيريـــــه وتنبـــؤيـــه .

٢ــ امكانية اختبار صحة التعميمات ، وصحة النظريه ،انها يجبان تكون قابله للتحقق من صحتها ، من حيث المبدا ،وبالاشاره الى السلوك الملائم .

٣ــ الادوات الفنيه ، وتكنيكات البحث ، ووسائل الحصول على البيانات وتجميعها وتفسيرها والادوات فى حاجة الى فحصها وتنقيحها للتاكد من دقتها لان الادوات التى تثور الشكوك بشان صحتها تفقد مبرر استخدامها اساسا ، فيجب ان توجد تلك الوسيله الدقيقه من اجل ملاحظة وتسجيل وتحليل السلوك .

٤ــ الاسلوب الكمى . ان الدقه فى تسجيل البيانا ت وتقرير النتائج تتطلب القيـا س والاسلوب الكمى ليس من اجل الاستخدام الكمى فى ذاته ، ولكن فقط عندما يكـــون ذلك ممكنا ، وملائما ، وله مغزاه فى ضوء الاهداف الاخرى .

٥ــ القيم . والتمييز بين الافتراضات المرتبطه بالتقييم الاخلاق ، وتلك المرتبطه بالتفسير الامبيريقى . فالتقييم الاخلاقى والتفسير الامبيريقى يتضمنان نوعان من الافتراضـــات ويجبان يكونا متميزان تحليليا ، بهدف التوضيح ، ويعتقد ايستون ان باحـــث السلوك السياسى ليس محظورا عليه تاكيد افتراضات من كلا النوعين ،كل منهما منفصل عن الآخر ،او مرتبطان كلاهما بالآخر طالما انه لايخطىء فى احدهما لحساب الآخـــر .

٦ــ اضفاء طابع نظامى على البحث ، فالنظاميه تعنى ان النظريه والبحث يجب ان ينظر اليهما كاجزاء متماسكه لجسد مترابط منطقيا ،ومنظم او مرتب ،للمعرفـة والبحـث الذى لاتصقله النظريه يثبت انه مبتذل لاقيمة له ،والنظريه التى لاتدعمها البيانات لاطائل من ورائها .

٧- الاهتمام العلمي المجرد بالبحث في مفهوم وفي تفسير السلوك قبل الاتجاه الى استخدام المعرفه العلميه من اجل التعامل مع مشكلات المجتمع وحلها ، يقول ايستون : ان تطبيق المعرفه يعد جزء من الجهد العلمي ، وكذلك من الفهم النظري ، لكن فهم وتفسير السلوك السياسي يسبق في اهميته منطقيا ، ويوفر الاساس للجهود من اجل تطبيق واستخدام المعرفه السياسيه في معالجة المشكلات العمليه الملحه في المجتمع .

٨- التكامل بين البحث السياسي ، والبحوث في مختلف فروع العلوم الاجتماعيه الاخرى ، لان العلوم الاجتماعيه تعالج الوقف الانساني ككل . والبحث السياسي لايمكن ان يتجاهل بحوث ونتائج هذه العلوم الاجتماعيه ، لكن بما لايضعف من الصحه والمصداقيه ، او يقوض ويشوه التعميمات ، والنتائج الخاصه بعلم السياسه . والاعتراف بهذه العلاقات بين علم السياسه والعلوم الاجتماعيه الاخرى من شانه ان يساعد علم السياسه ، في راى ايستون ، على استعادة مكانته ، التي حظي بها في القرون السابقه ، ويعود اليها ضمن الحظيره الرئيسيه للعلوم الاجتماعيه .

وفي الوقت الذي اشار فيه ايستون الى هذه الاهداف والاقتراحات باعتبارها تشكل الاختلافات الرئيسيه بين الطرق التقليديه والطرق السلوكيه في البحث السياسي ،(٨٠) فانه اعتبر ان اغلب باحثي السياسه ، حتى اولئك الذين لايريدون قبول تصنيفهم كسلوكيين قد يتفقون حول الطبيعه العامه لهذه المقومات او الافتراضات والاهداف ، وان اثيرت خلافات قويه حول الاهميه النسبيه ، والتاكيد ، الذي يحظى به كل منها .(٨١)

وتشير بعض الدراسات الاخرى الى انه بالرغم من التنوع والاختلاف في اهتمامات وافكار من ينتمون الى " حركة الثوره السلوكيه " فانه من الممكن تحديد عدد من السمات البارزه لحركة السلوك السياسي على النحو الاتي :(٨٢)

١- انها ، على الاقل ، ترفض المؤسسات باعتبارها الوحدات الاساسيه للتحليل والبحث ، ليحل محلها السلوك ، بمعنى ان سلوك الافراد في المؤسسات السياسيه يصبح هو الوحده الاساسيه للتحليل .

٢- وتؤكد على وحدة العلوم الاجتماعيه ، وتستخدم اسم " العلوم السلوكيه " لتصف هذه الوحده ، اى انها تؤكد على وحدة علم السياسه مع العلوم الاجتماعيه الاخرى .

٣ - وتنادى بالمزيد من الدقه ، وباستخدام تكنيكات أكثر دقه فى الملاحظه ، والقياس وتصنيف البيانـــات .

٤ - وتؤكد على استخدام الصياغات الكميه بقدر الامكان ، واستخدام الاساليـــب الاحصائيه الحديثـه (٨٣)

٥ - وتصر على فصل الجوانب الامبيريقيه عن الجوانب القيميه ، وتترك انطباعا فـــى كثير من الحالات يؤكد على ان الافتراضات القيميه لامكان لها فى علم السياسه (٨٤)

٦- وتميل ، فى المراحل الاولى من تطورها على الاقل ، الى التقليل من اهمية اغلـب الكتابات السابقه ، بما فيها الكتابات الكلاسيكيه ، واحيانا الانتقاص من قيمتها او التنكر لهـــا (٨٥)

٧- وانها تحدد بناء نظريه امبيريقيه نظاميه كهدف لعلم السياسه (٨٦)

٨- وتتضمن احساسا عاليا بالتخصص المهنى ، الذى يستند الى فناء ، يشترك فيها كثير من الباحثين التقليديين ، بان علم السياسه يمكن ان يكون ، ويجب ان يكون ، له تخصصه الاكاديمى الذى يفرض مهارات والتزامات ومناهج ونتائج تجعله متميزا عن التاملات ، والكتابات حول السياسه التى يقوم بها غير المتخصصين من كتـــاب ليسوا علماء سياسه ، ومتميزا عن الكتابات التى تحمل الاثاره ، ومتميزا عن مجـــرد التقاريـــر المبسطه .

ان مصطلح السلوك السياسى ، رغـم غموضه ، فان من الممكن تحديده بشكل يكفـى ليجعل من الممكن تحديد عدد من الافتراضات ، والاجراءات ، وادوات البحث ، والاهداف التى تميز هذا الـ ج فى دراسة الحياه السياسيه . (٨٧)

مع ذلك فقد جاء المنهج السلوكى ليكون له معانى كثيره ، اوضحها السلوكيون ، الذين وضع كل منهم تاكيدات ومعانى خاصه به ، ومن ثم اصبح سلوكيا بمعنى خاص بـــــه .

وهذا يثير تساؤلات عديده :

فهل يمثل هذا استخداما شاملا لمنهج علمى ؟ ام مجرد انطباع او ميل لتفضيل ذلك المنهج ؟ هل يمثل هذا استخداما لانواع معينة من البيانات ؟ والتى ظلت غائبه عن البحث السياسى ، خصوصا تلك البيانات ، والنتائج ، التى تنتمى الى العلوم التى تشكل قوام وجوهر ما عرف بالعلوم السلوكيه ، كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الانثربلوجيا (٨٨) ؟ ام انها تمثل رمزا للعوده على نطاق واسع ، الى الذات الفرديه باعتبارها بؤره اهتمام البحث السياسى ونقطته المركزيه ؟

هلى ينظر الى السلوكيه نظره اكثر مرونه ورحابه ، باعتبارها رداء او انساء فارغا يمكن ملئه باى مكونات ، وهو رداء او اناء يحمل طابع العلم وسماته المميزه الواضحه ؟

واذا كان العلماء السلوكيون قد جادلوا بان لهم الفضل فى ادخال المنهج العلمى الى علم السياسه ، فهل هذا هو كل ما فعلته السلوكيه فى علم السياسه ؟ لماذا اذن تم ادخال وتداول المفاهيم والمفردات الجديده ، التى من اهمها السلوك السياسى ، وتبنى وحدات ومستويات للتحليل لم يعرفها التحليل السياسى من قبل (٨٩) ؟

هل كان ذلك على حساب خصوصيه الدراسه السياسيه :

اذا كان المنهج السلوكى يشير الى تاكيد الكلمه الاولى من مصطلح " علم السياسه " اى كلمه " علم " فماذا يشير بالنسبه الى الكلمه الثانيه " السياسه " ؟

يقول ايلو انه سال تلاميذه : ما هى السياسه ؟ هل السياسه هى اى شئ يرتبط بالحكومه او بالسلطه والقوه او بصنع القرارات والسياسات المتخذه ، او بالتاثير والنفوذ ، او بالصراع ، او حتى بالتخصيص السلطوى للقيم ؟ (٩٠)

وفى اجابته عن ماهى السياسه ، يكرر ايلو مقولته ان السلوك الانسانى هو اصل او جذور السياسه (٩١) ، فالسلوك ياتى اولا ، والحكم قبل الحكومه ، والطاعه قبل السلطه والتصويت قبل القرار ، والطلب قبل القيمه ، والخوف قبل العقاب ، والاكراه قبل القوه ، والاقناع قبل النفوذ ، والحرب قبل الصراع ، والاعتقاد قبل الايديولوجيه . (٩٢)

ويشير ايلو الى انه مع التعريفات تبدأ الصعوبات عادة ، والى ضرورة عدم التقيد بالتعريفات الجامده ، يقول : " اننا فى الواقع ضحايا تعقيداتنا " (٩٣)

واذا كان الانسان هو الاصل ، فان السياسه تصبح هى دراسة لماذا يجد الانسان ان من الضرورى ، او من المرغوب فيه ، ان يهنى ويقيم الحكومات ، وكيف ، ولماذا هو يقرر ويتخذ السياسات العامه ... (٩٤) والسياسه والحكم والانشطه ذات الاهميه الكبرى كلها يستطيع من خلالها الانسان ان يفعل الكثير من الافعال والنتائج . (٩٥)

ان القناعه السلوكيه فى علم السياسه تهتم بما يفعل الانسان سياسيا ، وبالمعنى الذى يقصده ، ويسعى اليه فى سلوكه . (٩٦) لقد درس علم السياسه الافكار السياسيه لفترات طويله ، وكذلك القيم والمؤسسات والعادات والرموز والعمليات والسياسات ... دون الاشاره الى مبتكرها وخالقها ، وكانت التكلفه نتيجة لذلك عاليه باهظه . (٩٧)

يطرح ايلو تساؤلا مبسطا : لماذا يتصرف الناس ، سياسيا ، على النحو الذى يتصرفون به ؟ ويعتقد ان لهذا السؤال نتائج كبيره بالنسبه لعلم السياسه . اذن : ماهو السلوك السياسى ؟ انه حقل او مجال للدراسه ، او منهج او اقتراب . فاذا كان حقلا يجب ان يتضمن حدودا ، واذا كان منهجا يجبان تكون له قواعده ، واذا كان اقترابا يجبان يكون له اتجاه . ويقرر ايلو انه لايستطيع ان يقول انه واحد فقط بمفرده من هذه الثلاثه ، وليس هو الثلاثه معا . (٩٨)

والقوله بان " الانسان هو الاصل فى السياسه " تمثل بدايه جديده للدراسه ، لان معالجة ظروف ونتائج التصرف السياسى للانسان تتم من خلال القناعه السلوكيه ، ومن ثم باستخدام الطرق الجديده للتحليل ، من اجل هدف ومطلب المعرفه الانسانيه ، وهو الذى بدأ المطالبه به المنظرون السياسيون الكلاسيك . تمثل القناعه السلوكيه فى دراسة السياسه عودة الى الطبيعه الانسانيه ، فان الذى جعل هؤلاء المنظرين الكلاسيك عظماء هو افتراضاتهم الصريحه احيانا ، والضمنيه احيانا اخرى ، حول الطبيعه الانسانيه فى السياسه . فالقناعه السلوكيه تمثل ، من منظور معين ، واستمراريه للتقليد الكلاسيكى فى المعالجه السياسيه . (٩٩) لكن الطرق الحديثه للفكر ، ومعايير التحقق من صحة

الافتراضات ، ومناهج البحث تختلف جذريا عن تلك التى تميز الدراسات السياسيه الكلاسيكيه . من هنا الفارق بينها وبين المنظور السلوكى ، وهذا يوضح معنى خاص لمفهوم الاستمراريه . (١٠٠)

ان علم السياسه يجب ان يبنى ابتداء من القاعده ، بطرح اسئله بسيطه ، يمكن من حيث المبدأ ، الاجابه عنها . انه لايمكن ان يبنى من القمه ، يطرح اسئله معقده تستعصى الاجابه عنها ، اولا يمكن الاجابه عنها مطلقا ، على الاقل بواسطة المنهج العلمى . (١٠١) والعلم الامبيريقى ، كما يعتقد ايلو ، انما يتم بناءه ببطء ، وبالتراكم قطعه قطعه ، من البيانات والنظريات الملائمه . والقضايا الكبرى فى السياسه ، كشروط ونتائج الحرب والعداله او السلطه ... موضوعات لها اهميتها ومغزاها ، لكنها معقده وقد يغلب عليها الطابع الميتافيزيقى ، ولايعتقد ايلو مع ذلك انها خارج نطاق البحث السلوكى ، لكن قبل معالجتها يلزم بناء واكمال لاعمال الاساسيه فى علم السياسه (١٠٢)

وفى المرحلة الحاليه من تطور علم السياسه فان النظريه والبحث يجبان يترابطا معا بالضروره بعلاقات متبادله . فالاسئله بالنظريه يجب ان تصاغ فى شكل مفردات او مصطلحات اجرائيه ، او عمليه ، من اجل اهداف البحث الامبيريقى . والنتائج الامبيريقيه بدورها يجب ان تستند الى صياغة نظرية للمشكلات السياسيه . (١٠٣) والالتزام بالاعتماد المتبادل بين النظريه والبحث ، وحل مشكلات العلاقه بين النظريه السياسيه خاصه والنظريه السلوكيه عامه ، له نتائجه الهامه والجوهريه من اجل تطوير النظريه السياسيه (١٠٤) معنى هذا ان الدراسه السياسيه تدور حول الانسان وتكون من خلال المعالجه الامبيريقيه وترتبط باطار نظرى ، يعطى للبحث مغزاه واهميته .

لقد اكد ايلو ان الهدف هو الانسان . وهذا هو التبرير النهائى لمتابعة القناعه السلوكيه فى السياسه كاى مشروع انسانى آخر . لكن القول بان الدراسه العلميه للانسان فى السياسه تعتبر الانسان هدفها ، قول غير وارد كثيرا ، وفق ايلو ، بسبب الاختلاف حول طبيعة الانسان فى السياسه ، فهل هو الانسان الذى يجب ضبطه وحكمه ؟ ام الذى يجب تحريره واطلاق حريته ليحيا حياة كريمه وكلها اسئله فلسفيه يرى ايلو ان من الافضل تركها للفلاسفه . (١٠٥)

وقد تعرضت المنهاجيه السلوكيه ، وما ارتبط بها من تاثيرات فى علم السياسه ، لانتقادات واسعه ، فالبعض اعتبر انها مسئوله عن وصول علم السياسه ، فى مرحلة من مراحل تطوره ، الى ان اصبح ، الى حد كبير ، بمثابة " علم اجتماع " . (١٠٦) ويصف بعض الكتاب ما يمكن ان تقود اليه المنهاجيه السلوكيه الى علم سياسة ضيق لا يهتم بالقضايا الاساسيه ، ويعتمد على مفردات غير مألوفه (١٠٧) ومنعزل عن جذوره العميقه فى الماضى — وليس استمرارا لها كما حاول ايلو ان يؤكد — ويؤكد كريستيان بـاى ان دراسة السلوك السياسى ، وقد اصابها الاخفاق والفشل بالفعل ، قد ادى الى انتزاع الطابع السياسى من موضوعات البحث فى اطار علم السياسه ، تحت تاثير السلوكيه ، والتى اضحت فى رايه موضوعات شبه سياسيه . (١٠٨)

ثالثا : وحدات ،ومستويات التحليل الامبيريقيـــــــه :

جاء المنهج السلوكى بوحدات اساسيه للتحليل السياسى ،لم تكن معروفه من قبل ، ولم يقف الامر عند مجيء المنهج السلوكى بوحدة التحليل الامبيريقيه الى الدراسه السياسيه فقد اكد ايضا على مفهوم وحدة العلوم الاجتماعيه ، باعتبار السلوك السياسى يمثل جانبا واحدا فقط من جوانب عديده للسلوك العام ،او الكلى الشامل للانسان .

الذات الفرديه : وحدة التحليل الامبيريقيـه :

يؤكد ايلو ان "القناعه" السلوكيه فى علم السياسه لها اكثر من منهج ، وتوجـــد اصوات عديده تتحدث باسمها ،لكن بينها قاسم مشترك يجمعها ، وهو الالتزام بدراسة الانسان ،كاساس فى دراسة السياسه ، وبدراسة الذات الفرديه كوحدة امبيريقيـــــه للتحليـــــل .(١٠٩)

وهذه الاصوات جميعا لاتتحدث بالضروره فى انسجام وتناسق فيما بينها ، فالمناهج السلوكيه تختلف فى جوانب عديده فيما بينها : فى مفهومها لطبيعة المعرفه ،وفـــــى علاقاتها بالواقع ،وفى صياغاتها لاستراتيجيات وتكتيكات البحث ، وفى اختيارها لمشكلات البحـــث .... (١١٠)

وكذلك وحدات التحليل الاساسيه . فهناك من يتخذ "القرار" كوحده اساسيـه للتحليل ،او النظام ،او البنيه والوظيفه ،او الرساله ومفهوم الاتصال السياسى . وكذلك هناك ،وفى تعبير ايستون علماء اخرون مرتبطون بالحركة السياسيه ، ويتخذون من الفرد صاحب السلوك وحدة التحليل الرئيسيه فى بحوثهم ،كوحده ،على الاقل ، غير محدده ، لكنها حقيقيه ، وذلك فى علاقاتها بالافراد الاخرين ، اصحاب السلوك او التصرف والذين يمكن تحديد ما يمثلون جميعا من اتجاهات ودوافع ومعرفة وقيم ،ومن ثم يشكلون "جزيئات او ذرات" الحياه السياسيه . (١١١)

ويخلص ايستون الى ان هناك مجموعه من الوحدات البديله للتحليل ، والتى يمكـن الانتقاء بينها ،وهذه حقيقة لايمكن فصلها عن المنهج السلوكى ، كما اشار فى الوقت ذاته

لاهميـة الوعى العميق بالحاجه الى بلورة والى تساؤلات انتقاديه ، بشان المبادئ ، والمقدمات النظريه للعمل الامبيريقى ، بعيدا عن سمات او شروط اى منظور ، او نموذج نظـرى محدد . (١١٢)

السلوك السياسى للذات الفرديه هو المحور او المركز الذى يدور حوله التحليـل السلوكى . والبيانات المتعلقه بالسلوك السياسى للشخص الفرد هى محور الافترابـات السلوكيه فى السياسـه . وهذا لايعنى ان البحث يكون مقيدا بالذات الفرديه كبؤره نظريه للبحث ، لان الابحاث السلوكيه لاتهتم فى الواقع بالفاعل السياسى الفردى كشخص فرد هكذا ، اذ ان الجماعات الصغيره ، والتنظيم ، والمجتمع الصغير ، والنخبه والحركه الجماهيريه ، او الامه ... قد تكون بؤرة المعالجه السلوكيه . والحوادث والعمليات والعلاقات قد تستخدم كفئات للتحليل السلوكى .

ان الباحث السلوكى انما يركز على سلوك الافراد الذين تشكل تصرفاتهم وسلوكهـم وتفاعلاتهم السلوك الجماعى ، حتى اذا ما اهتم بوصف وتفسير تصرفات الجماعات او التنظيمات او غيرها من تجمعات واسعه اخرى . فالجماعات والتنظيمات ، وحتى الامه ، ليس لهـا وضع مستقل عن سلوك الافراد الذين يرتبطون بها بواسطة سلوكهم كل منهم ازاء الاخر بطـرق معينه . (١١٣)

وهذا لايعنى ان الجماعات والتنظيمات والاشكال الاخرى المناظره ليست وجـدات حقيقيه ذات مغزى ، لها سماتها البنائيه ووظائفها الخاصه بها . بل هى بالتاكـيد وحدات حقيقيه لها مثل هذه السمات . والحقيقه ان اغلب المشكلات التى تثير اهتمـام الباحث السلوكى تتعلق بسلوك مثل هذه الجماعات . لكن هذه الجماعات توجد ، وتتصرف وتتخذ سلوكها ، بالطريقه التى يجرى بها هذا التصرف او السلوك ، فقط وفق تصـرف الافراد المكونين لها ، ويتخذون سلوكهم بطرق معينـه . (١١٤)

ان اختيار الفرد كوحده للتحليل الامبيريقى من جانب عالم السياسه السلوكى لاينكر حقيقة وواقع المؤسسات . انما يؤكد فحسب ان المؤسسات لايمكن ان توجد طبيعيا منفصله عن الاشخاص المكونين لها . والعالم السلوكى قد يضطر الى تاكيد هـذه النقطه لان التحليلات المؤسسيه والسلوكيه قد يبدو فى المعالجه احيانا انهما متعارضـان ،

(١١٥)

كل منهما مع الآخر ، والحقيقة انهما ليسا متعارضان .

فالمؤسسات السياسية لاتختلف - في راى ايلو - اختلافا كبيرا او قليلا عن نماذج سلوك الافراد الذين يبتكرونها ، ويكونونها ، او فئات سلوكياتهم ، واذا كان الامر كذلك ، فان المؤسسات يمكن ، بلاريب ، ان يجرى تحليلها من خلال سلوك وحداتها الاولية ، اى الافراد الذين تنبع علاقاتهم ، كل مع الآخر ، وسلوكهم كل مع الآخر ، في شكل بنيه او هيكل معين . (١١٦) فالحديث عن قرار يتخذه قسم او مكتب او مؤسسه في البيروقراطيه ، او عن راى لمحكمة او لهيئه قضائيه ، او سلوك لهيئه تشريعيه يتم في لغه مؤسسيه ، وعن طريق هذا فقط يمكن تحويل التعقيد التعبير للحياه السياسيه الى منظور قابل لان تتم ادارته . ان مختلف الآراء والقرارات والسلوكيات يمكن ارجاعها الى الافراد ، الذين يقررون ، ويعطون الآراء ، ويتصرفون السلوك . (١١٧)

لقد حاول ايلو اثبات ان البحث السلوكي بتركيزه على الذات الفرديه كوحده للتحليل الامبيريقي لايعني تجاهل المؤسسات ، لكن هناك اراء اخرى تؤكد ان البحث السلوكي يرفض المؤسسات باعتبارها الوحدات الاساسيه للتحليل ، ليحل محلها سلوك الافراد في المؤسسات . (١١٨)

حاول ايلو تاكيد ان المؤسسات السياسيه انما هي نظم للسلوك ، او نظم للحركه . وهكذا فانها لاتوجد منفصله عن الافراد الذين يشكل سلوكهم وجودها ، بمعنى ان السلوك السياسي لايوجد منفصلا عن شبكة العلاقات بين الافراد ، والتي يطلق عليها اسم المؤسسات السياسيه . (١١٩) فالعلاقه بين المؤسسه والسلوك ، وفق ايلو ، هي علاقة تحمل بالضروره مضمون ان كل منهما مكمل ، ومتمم ، للآخر . ان الترتيبات المؤسسيه ، والمعايير ، والوظائف انما تعبر عن نماذج سلوكيه استقرت عبر الزمن . والسلوك الجاري ، بدوره ، انما تشكله ، وتوجهه ، نماذج الماضي ، التي يطلق عليها اسم المؤسسات . (١٢٠)

من جهة اخرى فان السلوك السياسي ، ككل سلوك اجتماعي ، يتضمن علاقة بين شخصين ، على الاقل ، ومن غير الممكن عادة ادراك سلوك سياسي من جانب شخص ليس له نتائج مباشرة او غير مباشرة ، رمزية او غير رمزية ، على شخص اخر .

والمفهوم المناسب ، والاكثر ملاءمة ، لتحليل العلاقه بين فاعلين ، على الاقل ، ولتحديد الملاءمه السياسيه للسلوك المميز لهذه العلاقه ، هذا المفهوم هو مفهوم الدور . (١٢١)

ويهتم الباحث السياسى بسلوك الشخص ، ليعرف فى جوانبه العامه الكليه ، وانما فقط فى الجانب الذى يتلاءم والعلاقه السياسيه . وان كان تحليل السلوك السياسى يمكن ان يجرى على نحو افضل من خلال دراسة موقع الانسان كفاعل سياسى فى السياق الاجتماعى والثقافى للعلاقات بين الافراد ، وهذا يقود الى تاكيد فكرة وحدة العلوم الاجتماعيه ، والتكامل المنهجى بينها . (١٢٢)

لقد اشار ايستون الى وحدات التحليل المختلفه ، والتى يمكن تحديدها وملاحظتها فى مصطلحات الحياه السياسيه ، كالقوه وصنع القرارات والسياسات والاتصال السياسى والوظائف ، الى جانب الوحدة الاساسية التى يمثلها الفرد صاحب السلوك (١٢٣) ، واكد ان الانتقاء بين هذه الوحدات يكون وفق الاطار النظرى والمفاهيم المستخدمه .

ويشير بعض الباحثين الى ان السلوك الاجتماعى عامة يتكون من كل فعل او حركه نمطيه يقوم بها الافراد ، بما فى ذلك الحركه من خلال المؤسسات المختلفه ، وان اتجاهات وادوار الافراد ، وتقاليدهم وعاداتهم وممارساتهم اليوميه تشكل قوام السلوك الاجتماعى وماديته الخام .

والسلوك السياسى هو ذلك الجزء من هذا المركب للنشاط الذى يتميز بملاءمة ما لعمليات الحكم . (١٢٤) ولانه لاتوجد خطوط واضحه سواء على مستوى افراد المجتمع او على مستوى السياسيين ، تفصل بين هذه الانشطه السياسيه وبين الانشطة الاخرى المتعلقه بالحياه الاجتماعيه ، كالاسره ، او متطلبات الحياه المختلفه كالغذاء وغيرها فانه يترتب على ذلك نتيجتين مترابطتين :

اولاهما : ان اى فعل اجتماعى ، واى اتجاه ، ازاء المهنه ، او المؤسسه الدينيه مثلا ، او غيرها ، او اى علاقه تربط الفرد بغيره من افراد جماعته ، السلاليه او المهنيه او الدينيه او غيرها من جماعات ، او فى دائرة اصدقائه ، او اى تفاعل مع اى جماعة اخرى .. قد يحمل نوعا من الملاءمة السياسيه (١٢٥)

وثانيهما : ضرورة التكامل المنهجى ، والربط بين مستويات التحليل .

مستويـــات التحليل :

يؤكد التوجه السلوكى فى علم السياسه على وحدة العلوم الاجتماعيه ، او على الاقـــل على اهمية التكامل المنهجى فى اطار العلوم الاجتماعية (١٢٦) ويؤكد ايلـو ان القناعه السلوكيه لها توجهها للتكامل المنهجى ، الذى ينبع - على الاقل فى البدايه - من الافتراض المبسط بان السلوك السياسى للانسان هو جانب واحد فقط من جوانب عديده للسلوك الكلى او الشامل العام للانسان ، وهو جانب قد يكون على جانب كبير من الاهميه ، لكن هذا لايعنى امكانية التعرف عليه - اى على السلوك السياسى - دون التعرف على كل جوانب السلوك الانسانى الاخرى . (١٢٧) بمعنى آخر فان جوانب السلوك الانسانى ، سياسة وغير سياسية ، لايمكن فهمها ، كل منها بمعزل عن الآخر .

والتكامل المنهجى يعنى ، وفق ايلو ، الاختيار بين السمات السلوكيه المعروفـــه لدى الباحثين ، والتى تبحثها مختلف العلوم السلوكيه ، حول الانسان ، والتى تبدو ملائمه اكثر من غيرها ، بوجه خاص ، لحل المشكلات السياسيه . والواقـع ان نوع المشكلات الـتى يبحثها عالم السياسه السلوكى لايمكن حلها دون الرجوع الى مفاهيم ونظريات العلـوم السلوكيه العديده ، فالحـل من خلال منهج او علم واحد سيكون حلا جزئيـا ، من هنـا ضرورة التكامل المنهجـى . (١٢٨)

ان الظاهره السياسيه ظاهره معقده ، او مركبه ، وكل حادثه او واقعه سياسيه لهـــا هذا الطابع المعقد المركب ، لانها تحدث فى بيئه اجتماعيه ، وعلى الاقل فانها تتكـــون جزئيا من انماط منتظمه للمعايير والاوضاع انها تتضمن فعل السلوك ، بواسطة فرد معين ، وخلف فعل السلوك يكون الوعى الانسانى للذات الفرديه ، والخبرات والتجارب ، والحاله الداخليه للانسان ، وعوامل البيئه الخارجيه المحيطه به . (١٢٩)

والتكامل المنهجى يحول دون اهمال السياق الاوسع الذى يحدث فيه السلوك السياسى فالسلوك الانتخابى مثلا لايمكن دراسته وتحليله بمعزل عن تجربة الشخص الذى يعطى صوته وطموحاته ، وانتماءاته الاسريه ، والطبقيه ، وارتباطه بالجماعه ، او بالحزب ، وتوقعاتـه ،

ومهنته ،ووسطه الثقافي ،فكلها عوامل شخصيه وثقافيه واجتماعيه لها تاثيراتها المحتمله ، بالرغم من انها ليست سياسيه . (١٣٠) يقول ايلو : " في الحقيقه فان ما نسميه بالجوانب الاجتماعيه والثقافيه والشخصيه تغزو السلوك العام للفرد ،بما فيه السلوك السياسي ، وهي جوانب لاتنفصم ، والفصل بينها ،بمعنى تصور ان ماهو اجتماعي ليس سياسي ، وما هو ثقافي ليس سياسي ،وما هو شخصي ليس سياسي ،فصل هدفه الفهم والتحليل والتبسيط فحسب ،اي ان التمييز بينها تمييز تحليلي فحسب . (١٣١)

ان دراسة السلوك السياسي تهتم بتصرفات الفرد واتجاهاته وتفضيلاته وتوقعاته ، في جوانبها السياسيه . لكن لاتوجد اسباب او مبررات قويه تدعو الى الافتراض بان سلوك الانسان في جوانبه السياسيه يختلف بشكل اساسي عن سلوكه في جوانبه الاخرى .فالافراد الذين لايقبلون على المشاركه في الحياه الاجتماعيه لجماعتهم ،او في الجماعات الطوعيه يحتمل كذلك ان لايقبلوا على المشاركة السياسية . (١٣٢)

وحتى اذا ما اختلفت مشكلات ونماذج السلوك السياسي بشكل عام شامل عن مشكلات ونماذج السلوك في جوانبه الاخرى ،فان الصياغات النظريه المرتبطه بالسلوك الانساني من غير المحتمل ان تتم في عزله عن تلك المرتبطه بجوانب السلوك الاخرى . فالنظريه اذا ما اصبحت مثمره في جانب من الجوانب ، فانها ، ان عاجلا او آجلا سوف تؤدي الى ازدهار واخصاب البحوث في الجوانب الاخرى . (١٣٣)

وان كان ايستون يؤكد ان علم السياسه ، حتى في الآونه الحديثه ، قد استعار القليل فحسب من علم النفس ،لانه بينما تبنى علماء النفس المدرسة السلوكيه ، فلم تتح فرصة ،وان في حدود ضيقه ، لكي يؤثر ذلك ، من خلال مضامين علم النفس، في الدراسات السياسيه . (١٣٤)

رابعا : التحولات فى علم السياسه التقليدى :

المنهج السلوكى ،والتحدى لعلم السياسه التقليدى :

عرف علم السياسه التقليدى بتركيزه على دراسة المؤسسات اساسا ، وكانت الدراسه لها طابعها التاريخى ،والوصفى ، وغير التحليلى ،(١٣٥) قبل ان تاخذ دراسه السياسه المقارن توجها منهجيا جديده يختلف عن المنهج التقليدى .

وقد مثل المنهج السلوكى تحديات حقيقيه بالنسبه لعلم السياسه التقليدى،(١٣٦) وبدأت نتيجة هذا التحدى تظهر بوجه خاص بعد الحرب العالميه الثانيه ، والتى يعتبرها ايستون نقطة فاصله فى تطور علم السياسه (١٣٧) ، بحيث يمكن الحديث عما قبلها وما بعدها .

واثرت هذه التحديات السلوكيه بوجه خاص فى الميدان الرئيسى لعلم السياسه ،وهو التحليل المقارن للنظم السياسيه ، ورائده ارسطو منذ نحو ٢٥٠٠ عام ، فى وقت ظهرت فيه العديد من نظم الحكم الجديده فى العالم (١٣٨) وقدمت السلوكيه رؤيه ومنهجا اكثر واقعيه ، بالرغم من ان السلوكيه ذاتها بدأت تتراجع ،بل واخذت فى التدهور منذ السبعينات .(١٣٩)

من السمات الاساسيه للدراسات التقليديه فى السياسه المقارنه ،انها لم تكن دراسات مقارنه فى جوهرها ، فكانت المقارنه مجرد اسم فقط ، وكانت الدراسه جزءا مما سمى بدراسة الحكومات الاجنبيه ، وفى اطارها جرت معالجة التنظيمات الرسميه لمؤسسات الدوله ، والهيئات الحكوميه ، بطريقة وصفيه ، تاريخيه ، وقانونيه . وتركز الاهتمام بشكل اولى على الوثائق المكتوبه ، كالدساتير والقواعد القانونيه التى تحدد موقع القوه السياسيه ، وشكل السلطات وتوزيعها ، ووصف طرق ممارسة هذه السلطات ، والاسس الدستوريه ، وتنظيم السلطه . وفى كل حالة فان جوهر ونطاق المشكله يناقش فى ضوء الاشاره الى البناء المؤسسى للدوله . مثال واضح لذلك دراسة النموذج البريطانى التى كانت تتم من خلال التركيز على سلطات التاج والدستور والوزاره ورئيس الوزراء وتوزيع الهيئه

الناخبة على الاحزاب السياسية التى يجرى وصف ايديولوجيتها وبرامجها ، وهى دراسات شكلية فى الاساس ، تصف المؤسسات السياسية الرسمية كاساس جوهرى لفهم العملية السياسية ، ولاجراء المقارنة . وكان من الصعوبة بمكان دائما اجراء المقارنة بين المؤسسات المعنية التى يجرى وصفها حيث تركزت الدراسة غالبا على المؤسسات السياسيه لنظام واحد ، او على مؤسسة معينه فى نظام واحد ، وهى دراسات وصفت بانها سكونيه ، ستاتيكيه لتجاهلها العوامل الديناميكيه التى ترتبط بالنمو والتغير فتركز الاهتمام على ما سمى بالتشريح السياسى (١٤٠).

واهم من ذلك انها دراسات ظلت محدوده فى نطاقها ، تتركز حول المؤسسات الاوربيه الغربيه اساسا ، وكانت النظم فى بريطانيا وفرنسا وسويسرا والمانيا ، وفى حدود ضيقه فى الدول الاسكندنافيه ، هى فقط النظم الاساسيه التقليديه . معنى هذا انها كانت دراسات اوربيه فلم تتناول ، او تهتم ، بالنظم خارج اوربا ، كما لم تهتم بالنظم غير الديمقراطيه . فكانت دراسة محدوده فى طابعها او محصوره فى اوجه معزوله للعملية الحكوميه ، فى اقطار معينه ، فكانت صفة المقارنه مجرد اسم فحسب ، وتركزت على المؤسسات الرسميه ، فاهملت الترتيبات غير الرسميه ، والمحددات غير السياسيه للسلوك السياسى ، ومن ثم الاسس غير السياسيه للمؤسسات الحكوميه . (١٤١)

اخذت دراسة " الحكومات المقارنه " تتركز اذن فحسب على الجوانب الرسميه والدستوريه للنظم الغربيه ، اى الدساتير والبرلمانات والسلطة التنفيذيه والخدمه المدنيه والقانون الادارى ، دون ان تكون مثمره ، او مقارنه حقا .

وتدريجيا بدأ الكتاب يفضلون استخدام تعبير " السياسه المقارنه " (١٤٢) فى اطار اتجهت فيه الدراسات لان تاخذ وجهة منهجيه جديده (١٤٣) ، تحت ضغط الانتقادات التى تزايدت ضد الدراسات التقليديه ، تنادى بوحدات جديده للتحليل ، ومناهج جديده ، وادوات وتكنيكات جديده (١٤٤) ، واصبح التحليل المقارن جزء من الاهتمام المتزايد بالمنهج العلمى ، فى السياسه (١٤٥)

يؤكد الموند انه برزت على الاقل طريقتين ، او مسارين ، للتغيير فى حقل الحكومات المقارنه :

اولهما : ان الدراسه لم تعد قاصره على اوربا ، وانما اصبح عليها ان تمتد الى مناطق اخرى واسعه خارج اوربا (١٤٦).

وثانيهما : ضرورة استكشاف جوانب جديده للعملية السياسيه ، ومناهج جديده في البحث من اجل المقارنه والتراكم النظامى فى البيانات والدراسه (١٤٧).

ويشير الموند الى استخدام بعض مفاهيم ومفردات لها اهميتها : فى رايه ، وترجع الى تقاليد ارساها ماكس فيبر ، تلكوت بارسونز فى النظرية الاجتماعيه ، ومنها على وجه الخصوص :-

اولا :

النظام السياسى : باعتباره نظاما للحركه او للفعل ، وما يعنيه ذلك بالنسبه لدارسى النظم السياسيه هو السلوك الممكن دراسته امبيريقيا . ويكون الاهتمام بالمعايير والمؤسسات الى المدى الذى تؤثر فيه هذه المعايير والمؤسسات فى السلوك . والتاكيد على الحركه او الفعل يعنى فقط ان وصف النظام السياسى لايمكن ان يكون مرضيا اذا كان وصفا مبسطا لمعاييره الاخلاقيه او القانونيه . بعبارة اخرى فان المؤسسات السياسيه او الاشخاص الذين يضطلعون بالادوار السياسيه ينظر اليهم من زاوية : ما يفعلونه ، ولماذا هم يفعلونه ، وكيف ان ما يفعلونه يؤثر ويرتبط بما يفعله الآخرون . (١٤٨)

وقد اصبحت دراسة النظام السياسى ، وتحليله ، بداية ومدخلا لدراسة السياسه المقارنه (١٤٩) ، لذلك تستهل اغلب الدراسات الهامه فى حقل السياسه المقارنه والمعالجه والتحليل بمحاولة تحديد وتعريف النظام السياسى (١٥٠) ، الامر الذى يؤكد اهمية هذه المفردات الجديده فى التحليل .

ثانيا :

القيم والمعايير والتوجهات والاهداف والتفضيلات بشان الحركة السياسيه ، والتى يجد الموند ان من الملائم ان يطلق عليها اصطلاح " الثقافه السياسيه " وهو المصطلح الذى اصبح متداولا ، وله استخدامه الواسع .

اصبحت المعالجه الحديثه توفر مقارنه حقيقيه ، فى سبيل تفهم وادراك ليس فقط النظام السياسى ، والثقافه السياسيه ، وانما ايضا العمليه السياسيه ، ومختلف الابعاد والجوانب المرتبطه بالحياه السياسيه .

ولم تعد المقارنه مجرد اسم ، فاصبحت تتجه الى ابراز اوجه التشابه ، وايضا اوجه الاختلاف ، والتباين ، بين النظم والحكومات والعمليات السياسيه ، وما قد يمثله كل منها من خصوصيه تميزه او تفرد ، والمقارنه توضح كذلك مدى الاختلاف ، او التقارب ، بين اقطار مختلفه فى الحجم والثروه والقوه واللغه والثقافه ومستوى التطور والتنميه ، وفى الممارسات السياسيه بها ، وهل هى ذات طابع ديمقراطى ام دكتاتورى ، وهل هى نظم متعدده ام نظم يسيطر عليها حزب واحد ، مستقره ام غير مستقره ، وما مستوى الرفاهيه فيها . ومن خلال هذه المقارنه يمكن تحديد فئات او تصنيفات مختلفه يمكن لهذه النظم او الابنيه او الاقطار . (١٥١)

تتضمن المعالجه الحديثه للسياسه المقارنه توسيعا لمدى المقارنه بين نظم سياسيه عديده ، وتحديد سمات لهذه النظم فى شكل فئات تحليليه بينها اوجه للاختلاف والتمايز ، او التشابه والاتفاق . واصبحت هذه المعالجه الحديثه تتخلى عن الاهتمام التقليدى الذى انصب على المؤسسات الحكوميه ، وتتجاوز هذا الاهتمام ليتسنى دراسة السياسه باعتبارها ترتبط بعوامل ومتغيرات عديده ، كصنع القرارات ، والتوفيق بين المطامح السياسيه السائده ، وتكييفها ، وفى الحقيقه فان الحكومه اصبحت مجرد واحد فقط ضمن عوامل اخرى عديده تدخل فى تحليل العمليه السياسيه (١٥٢).

قد يمكن القول بان دراسة السياسه المقارنه ارتبطت بقدر من الاضطراب لدى عدد من الباحثين والدارسين بسبب هذه التحولات ، وما ارتبط بها من نتائج . وبينما تركز الاهتمام التقليدى على دراسة عدد من الاقطار والنظم فى اوربا ، على وجه التحديد ، وبينما ارتبطت هذه الدراسه ببؤره للمعالجه تمثلت فى المؤسسات والدساتير ، والوظائف ، مع التركيز على السلطات الثلاث : التشريعيه والتنفيذيه والقضائيه ، مع اضافة بعض مؤسسات اخرى ، احيانا ، كالاحزاب السياسيه وجماعات المصالح ، فان السياسه المقارنه اصبحت تدرس على نطاق واسع كافة اشكال النشاط السياسى ، الحكومى وغير الحكومى ، وكل ما هو سياسى فى الواقع ، بما فى ذلك الحكومات ومؤسساتها الى جانب اشكال التنظيم الاخرى التى قد لا ترتبط بشكل مباشر بالحكومه الرسميه ، كالقبائل والاتحادات المختلفه (١٥٣) وكذلك القيم والاتجاهات والمعايير ونماذج السلوك والثقافه واصبحت دراسة النظام السياسى

تحظى باهمية رئيسيه ، باعتباره يمثل عمل محدد للدراسه المعاصره للسياسه المقارنه الى جانب ما يرتبط بالنظام السياسى من موضوعات لها مغزاها كالثقافه والتنميه والطبقه وغيرها . (١٥٤)

وكما يبدو فان التحول فى الدراسه لم يكن مفاجئا ، ويشير بعض الباحثين الى ان علم السياسه التقليدى قد شهد فى مرحلة مبكره ، تاكيدا على جوانب عديده ، فيما سمى احيانا بالمنهج التقليدى المعدل لدراسة الحكومات المقارنه . (١٥٥) حيث وجدت دراسات وصفت بانها " وظيفيه ودينامكيه " اشارت الى اهمية انشطة الجماعات والتنظيمات المختلفه وعلاقاتها وتاثيراتها على الحكومه . (١٥٦)

وطرات تطورات حديثه فى مجال الدراسه من خلال التاكيد المتزايد على بحث النظم فى حالة الحركه ، وهذا التاكيد الجديد ، وما ارتبط به من دراسات ونتائج ادى الى معلومات جديده ، وتعميمات جديده ، وفهم اكثر شمولا ووضوحا لعمليات الحكم .

كما ارتبط ذلك ايضا بخيبة الامل ، بالنظر الى الادوات والمفاهيم السائده فى علم السياسه ، وتوقعات متزايده بدراسات ارحب وبحوث عن اطار من المفاهيم ، وادوات للبحث اكثر ملاءمه لدراسة ديناميات الحكومه . (١٥٧)

لقد استمرت هذه الانجازات ، وما ارتبط بها من نتائج ، فى اطار المفاهيم التقليديه لدراسة المؤسسات السياسيه . ومع مرور الوقت ، ومنذ منتصف القرن العشرين ، فان علماء السياسه عرفوا الكثير فالكثير حول مؤسسات الحكومة ، فى ذلك القطر او ذاك ، وفى العالم ، اكثر مما سبق ان عرفوه من قبل . لقد عرفوا الكثير عن موقع القوه فى المجتمع ، وعمليات تلك القوه ، وتاثيرها على الحكومه ، وعرفوا المزيد حول المحددات الثقافيه للحكومه ، وتنظيم الحكومه ، والعملية الانتخابيه ، وعناصر صنع السياسات ، وخصائص واشاط القياده السياسيه ، وعلاقة الايديولوجيه بالقياده ، وغيرها . (١٥٨)

لكن تزايدت اسباب خيبة الامل ، خصوصا تحت تاثير التطورات فى العلوم الطبيعيه ، وفى العلوم الاجتماعيه الاخرى . وكان لابد من الاعتراف من جانب علماء السياسه بالتطور فى العلوم الاخرى للانسان ، والانتباه الى اهمية هذا التطور ، وخصوصا علم النفس وعلم الاجتماع ، وعلم الانثربولوجيا ، والطب النفسى .

وبدأت تتزايد الانتقادات حول اهمية النتائج والدراسات في علم السياسه دون الافاده من هذا التطور ، ودون الاستخدام الافضل للاحصاء ، والمنهج الاحصائي .

بدات الاتهامات تصف البحث السياسي بالتحيز ، وعدم النضج الابيريقي ، وبالعاطفيه ، والارتجال والسطحيه ، تحت اسم العلم . وقيل ان علم السياسه ليس لها من وظيفه الا توضيح التفضيلات القيميه للمؤلف ، وبدات تتضح المستويات المتدنيه من تعميم النتائج ، وعدم قابلية الكثير من البيانات المجمعه للا ستخدام المقارن ، وصعوبة استخدام البيانات في علم السياسه للتنبؤ الدقيق . (١٥٩)

ادى ذلك الى خيبة الامل التي دفعت نحو التغيير . فقد جاء التحدى لعلم السياسه التقليدى نتيجة خيبة الامل هذه ، وبدأت مظاهر رئيسيه تعبر عن التطور كوحدات التحليل الجديده ، والمناهج الجديده ، وادوات جديده للبحث ، والبيانات الجديده ، وتطورت نظرية نظاميه تحت اسم السلوك السياسي . (١٦٠)

فيما بين الحرب العالميه الثانيه ، ومنتصف الخمسينات ، اصبح مصطلح السلوك السياسي يمثل تحديا ، ومنهجا في آن واحد . انه نمط للبحث ، وتوجه ، وحركة تصحيح ، ويصفايلو هذه المرحله المبكره باعتبارها مرحلة حملت وعودا وتبشيرا بمقدم المناهج الجديده وادوات التحليل والمفردات الجديده ، وان كانت " الارض الموعوده مازالت بعيدة جدا " (١٦١) . لقد جاء مصطلح السلوك السياسي كمظلة واسعه تغطي مؤقتا جماعة غير متجانسه لايجمع بينها الا خيبة الامل من علم السياسه التقليدى . فهى جماعه من المرجح ان يتحرك اعضاؤها في اتجاهات متباينه ، ومختلفة تماما ، طالما تزول تلك العاصفه التي يحتمون منها بواسطة هذه المظله ، او هذا الابتكار الجديد (١٦٢) فقد انتشرت بحوث ، ومناقشات ، بين علماء السياسه جعلت من الواضح ان هناك مجموعه مختلفه ، واحيانا متناقضه ، من الافتراضات ، وادوات البحث ، والمناهج ، والبيانات وغيرها من مفردات افرزتها هذه الحركه السلوكيه .

لقد جاء مصطلح السلوك السياسي واسعا بما يكفي لفهم مجموعة متنوعه ومتباينه من الانشطه ، والمفردات ، وان غامضا بما يكفي لاختلاف ممثليه ودعاته حول تعريفه ، وكان محددا بما يكفي ايضا وفي الوقت ذاته لبلورة معارضه ضده ، خصوصا من بعض مؤيدى المنهج التقليدى . (١٦٣)

خامسا : اندماج المنهج السلوكى فى التيار السائد لعلم السياسه :

جاءت التاثيرات المرتبطه بالحركة السلوكيه ، او بالثورة فى العلوم السلوكيه ، وفى الواقع الحركة بكاملها ، جاءت نتيجة تاثير العلوم الطبيعيه على العلوم الاجتماعيه ، وارتبط ذلك بافتراض ان ثمة منهج علمى واحد قابل للتطبيق بشكل عام ، سواء بالنسبه للعلوم الطبيعيه او العلوم الاجتماعيه ، وبافتراض ان المفاهيم ، والنظريه ، فى العلوم الاجتماعيه يمكن ويجب ، ان تتحدد مع المفاهيم ، والنظرية فى العلوم الطبيعيه (١٦٤) ، وامكانية تكييف العلوم الاجتماعيه للمناهج وادوات البحث الخاصه بالعلوم الطبيعيه .

والكثير من ادوات البحث فى السلوك السياسى ، استمدت ، او استعيرت من العلوم الاجتماعيه الاخرى ، والتى استمدتها واستعارتها هى الاخرى بدورها من العلوم الطبيعيه ، فى محاولتها لتكون اكثر علميه ، وعلى امل ان تقود المناهج المتشابهه الى آفاق ، ونجاحات متشابهه . (١٦٥)

وهذا من شانه اثارة تساؤلات عديده : فما هى نتائج اعتبار الذات الفرديه وحده البحث الاساسيه ؟ وما هى انواع البيانات الملائمه لدراسة المؤسسات السياسيه ، والمواقف التى تسمح بالمعالجه الكميه ؟ اى الفئات ، وادوات التحليل فى العلوم الاجتماعيه تكون مفيده لعلماء السياسه ؟ ما هى نتائج التاكيد المتزايد على النظريه ؟

اصبحت المقدمه ، او نقطة البدء والانطلاق ، تفترض ان البنيه السياسيه فى حركه ، بمعنى تحليلها فى حركتها وفعلها ، وليس فى سكونها ، وهذا يمكن ان يتم من خلال الملاحظه النظاميه للسلوك الفعلى ، وليس من خلال التأمل ، او فحص النصوص والدساتير ، والبحث فى السلوك السياسى يؤكد على الاتجاهات والدوافع للافراد ، فى محاولة لاكتشاف تاثيرات الشخصيه على السلوك فى المواقف الفعليه ، وتاثيرات المواقف السياسيه على الانيه ، وعلى الشخصيه ، وما الى ذلك (١٦٦)

وقد ادى التاكيد على اتجاهات ودوافع وادراكات الافراد الى استخدام متزايد ومكثف ، للمقابلات كمصدر للبيانات ونتيجة لذلك فان كثيرا من الدراسات تمت من خلال المقابله

ومن خلال الاستبيانات ذات الاجابات المغلقه ، وايضا الاستبيانات ذات الاجابات المفتوحه نهاياتها . ولان الاجابات من هذا النوع الاخير من الاسئله يصعب معالجتها رقميا ، وبسبب امكانيات المعالجه الكميه ، فان كثير من الاهتمام اتجه الى اسلوب تحليل المضمون ، والذى يجعل توظيف الاساليب الاحصائيه ممكنا . (١٦٧) وادى الاستخدام المكثف للمسح والاستبيان والمقابله كمصدر للبيانات ، وكمنهج للتحقق ، واختبار صحة الفروض الى تحويل اهتمام الكثيرين من علماء السياسه الى مشكلات قياس الاتجاهات ، وبناء المقاييس وتمثيل العينات وتقييم المزايا النسبيه للانماط المختلفه للاستبيانات ، وللمقابلة وغيرها من انواع مختلفه من مشكلات البحث التى طالما شغلت علماء النفس وعلماء الاجتماع لفترات سابقه . (١٦٨)

ولم يكن غريبا ان يؤدى التركيز على ادوات البحث الى تزايد الدراسات فى مجالات السلوك التصويتى ، فى البدايه ، وكان على دعاة المنهج السلوكى ، والمتعاطفين معهم ، ان يوسعوا من دراسات السلوك السياسى ليكون اكثر شمولا ، فلا يقتصر فحسب على السلوك التصويتى .

ومنذ العام ١٩٥٥ تغير الموقف جذريا ، حيث يمكن القول بان المنهج السلوكى قد اندمج فى التيار السائد لعلم السياسه ، خصوصا فى الولايات المتحده (١٦٩) ، وفى العام ١٩٥٩ اخذت تظهر الدراسات التى استخدمت المنهج السلوكى فى اغلب المجالات التقليديه للبحث فى علم السياسه .

ويلاحظ ان بعض دراسات التصويت ، من خلال التوجه السلوكى ، قد تمت قبل ان تكتسب الحركه السلوكيه اهمية بين علماء السياسه ، وان كان البحث فى هذا المجال قد عززته وحفزته الادوات والمناهج المرتبطه بالسلوك السياسى (١٧٠) .

وظلت دراسات وبحوث الانتخابات تحظى باهتمام كبير ، من مؤيدى المنهج السلوكى وتزايدت وانتشرت بسرعه دراسات ، تدور حول المحددات الاجتماعيه ، والسيكلوجيه والمؤسسيه للسلوك التصويتى . كما اجريت دراسات تهتم بمعالجة تاثير العوامل الاجتماعيه ، والجيليه ، الطبقيه ، والمهنيه على السلوك التصويتى (١٧١) .

وتناولت دراسات اخرى الدوافع ، ونجحت بدرجات متنوعه ، فى تحليل المحددات السيكلوجيه لتأثير القوى الاجتماعيه على السلوك التصويتى ، وفى تركيز الانتباه على ادراكات الناخب ، وليس مجرد انتماءاته الاجتماعيه ، وحاولت بعض الدراسات عزل ، ، المتغيرات السيكلوجيه التى تحدد تاثير المواقف الاجتماعيه على السلوك التصويتى ، وتحديد الاهميه النسبيه للعوامل التى تؤثر فى ادراكات الناخب ، والسياق الذى يحدد التأثير النسبى للعوامل المختلفه على ادراك الناخب وتفضيلاته .

كما اثار المنهج السلوكى اهتماما متزايدا ، والهم دراسات وكتابات تناولت قضايا ، ونتائج المنافسه بين الاحزاب ، والتماسك الحزبى ، وانماط النظم الحزبيه ، وظهرت بعض دراسات رائده فى هذه الموضوعات . (١٧٢) رغم ذلك تعرضت لانتقادات عديده ، احيانا من جانب من قاموا بها اصلا ، الامر الذى يوضح ان المنهج السلوكى قد ارتبط اكثر فاكثر بنوع من الانتقاد الذاتى ، والوعى بالذات (١٧٣) ، وادراك للمشكلات المتعلقة بجمع البيانات حول السلوك الفردى ، وعلاقتها وملاءمتها لتحليل ودراسة النظام السياسى ، وهى الدراسه التى تظل الالتزام الرئيسى لعلم السياسه . (١٧٤)

بدأ الاهتمام يتسع بعد فتره ، ليتجه الى حقل الشخصيه السياسيه والتنشئه السياسيه ، بين علماء السياسه ، وبينما اخفق علماء السياسه فى ابراز مثل هذا الاهتمام فى بادىء الامر ، فان علماء الاجتماع وعلماء النفس قد انجزوا بحوثا نظاميه للعلاقه بين الشخصيه والسلوك السياسى كالشخصيه السلطويه ، مثلا . (١٧٥)

ومع تزايد الاهتمام بالسلوك السياسى بين علماء السياسه ، استمر التاكيد المتميز على الفرد باعتباره وحده التحليل السياسى ، وهذا حفز علماء السياسه للقيام بالبحث الامبيريقى فى الشخصيه ، والاتجاهات السياسيه ، والسلوك السياسى ، جنبا الى جنب مع البحث فى العمليات غير الرسميه التى يتم من خلالها اعداد الافراد وتحنيدهم ليتولوا الادوار السياسيه . (١٧٦)

وفى هذه الدراسات استعار علماء السياسه من مفاهيم ونظريات علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم الانثربولوجيا ، ومن مجموعة الادوات ووسائل البحث التى تطورت فى هذه العلوم لتحليل الشخصيه ، والثقافه ، والمجتمع .

ولذلك توافرت اسس نويه ،ومبررات ،للاعتقاد بان الجهود المتزايده لعلماء السياسه بشان تطوير افاق البحث حول الظاهره السياسيه . سوف تقود الى مفاهيم دقيقه وواقعيه لفهم العلاقه بين السياسه والشخصيه .

ويؤكد بعض الباحثين ان دراسات السلوك التصويتى ،والشخصيه ،هى اهم ما انتجه المنهج السلوكى (١٧٧) . وتتاكد اهمية هذه الدراسات بالنظر الى سرعة انتشار الاتجاه الذى تمثله بين الباحثين فى المجالات الفرعيه الاخرى لعلم السياسه .

وقدم علماء السياسه بحوثا لها اهميتها حول متغيرات الشخصيه ، وحاول هؤلاء من خلال ابراز السمات الشخصيه للفاعلين فى النظام السياسى تفسير بعض جوانب وخصائص النظم السياسيه ،وكانت اعمال هارولا لاسويل فى الثلاثينات تمثل دور الرياده فى هذا المجال عندما قام ببحوث نظريه فى مجال علم النفس الفردى ليعالج مشكلات فى التحليل السياسى (١٧٨) ولم يقتصر هذا النوع من الدراسات على علم السياسه وحده ،فتعد كتابات ديفيد ميكللاند وافرت هاجن امثله تحاول تفسير التنميه الاقتصاديه من خلال دراسة سمات مسيطره او سائده للشخصيه الفرديه .

وقد نجح لوشيان باى فى تطوير نوع من المناهج السيكلوجيه الشامله لتفسير جمود وشكلية البيروقراطيه - فى اطار دراسته عن بورما - ليعطى مثلا نموذجيا لامكانية استخدام المفاهيم السيكلوجيه كمتغيرات تفسيريه . ولم يقتصر باى تحليله على تفسير نوع معين من السلوك فى البيروقراطيه الحكوميه فى بورما ،وانما استخدام منهجا سيكلوجيا ليوضح فشل نظم معينه فى محاولتها التحديث (١٧٩)

واوضح ايلو امكانية استخدام منهج تنموى فى اطار الدراسات السلوكيه لكى يتتابع التحليل من لحظة الى اخرى ،مع الاخذ فى الاعتبار تجربة الماضى ،والنظره الى المستقبل (١٨٠) فاذا كانت البحوث السلوكيه فى اغلبها تعالج الافراد والتجمعات والجماعات المؤسسيه ، عند نقطه معينه من الزمن ،فقد يفهم من هذا ان معناه ترك معالجة التغير السياسى على نطاق واسع ، للمؤرخين ،وما يسميه ايلو " المعضلة الديناميكية " والتى ترتبط بتحليل التغير عبر الزمن (١٨١) ،والحقيقه ان البحث السلوكى قد يدور حول النماذج

السلوك للماضى ، او على الاقل ، التعبيرات الرمزيه لها وما يرتبط بها من شعارات وعبارات واحاديث ، واستخدام تحليل المضمون للوثائق المتاحه ، وان كان هذا يتطلب امكانيات وطاقه ووقت قد لاتتوافر لدراسة وثائق الماضى . (١٨٢)

كذلك اجريت دراسات عديده حول العمليات التشريعيه استخدمت فيها البحوث السلوكيه والتقليديه على نحو متكامل (١٨٣). فقد دمجت هذه الدراسات بطريقة تعطيه الوصف المؤسسى بالتحليل الاحصائى ، والقياس النفسى والاجتماعى فى بحوث امتدت من الجماعات الرسميه والهيراركيه ، الى الابنيه والعمليات الوظيفيه ، والتى من خلالها يتم صنع القوانين . (١٨٤)

وفى مجال القانون الدستورى اصبح اثر المنهج السلوكى ايضا له اهميته ، فى العدد المتزايد من البحوث التى اجريت ، وتناولت تاثير الافراد ، والعوامل غير الرسميه ، على تطور القانون ، بما فى ذلك سيرة حياة القضاه ، وتاثير الاجراءات ، والاهتمامات المشتركه للمحاكم ، والسياق السياسى للقرارات ، ونظريات المباريات ، والتحليل الكمى ... كلها استخدمت لتوفر تحليلا قانونيا وتاريخيا وسياسيا فى عدد متزايد من الدراسات (١٨٥)

لقد اكتسبت المناهج التقليديه فى ميادين الحكومات المقارنه ، والحكم المحلى ، والادارة العامه ، والسياسه الدوليه وغيرها ... اكتسبت ادوات سلوكيه وفئات ومفردات جديده ، الامر الذى يتيح المجال امام آفاق جديده للبحث السياسى ، ويفتح الطريق امام مفاهيم قادره على دمج انماط جديده من المعلومات ونظم جديده للنتائج (١٨٦)

لكن هل المنهج السلوكى يتضمن فقط ادوات ووسائل للبحث ، بالنسبه لعلم السياسه ، كما بالنسبه للعلوم الاجتماعيه الاخرى ؟ الحقيقه ان هناك ادوات ووسائل وطرق جديده ابتكرت ، واخذ علماء السياسه يستخدمونها بشكل متزايد ، كوسائل الاستبيان والمسح والمقابله وتحليل المضمون والتحليل الاحصائى ، والتجارب بالنسبه للجماعات الصغيره فى معامل العلوم الاجتماعيه ، والنماذج الرياضيه ، وكلها ارتبطت بالمنهج السلوكى . (١٨٧)

وهذه الادوات والطرق لم تحدث فى فراغ ، لقد تتابعت ، ومعها مفاهيم جديده ، واكسبتها ، لاثراء البحث السياسى ، كالنظام السياسى والثقافه السياسيه والعمليه السياسيه ... واصبحت ادوات ضروريه لتحليل انماط جديده من البيانات ، يتطلبها المفهوم الجديد لعلم السياسه .

وكانت النتيجه الاولى المترتبه على ادراك المؤسسات باعتبارها مكونه من افراد فاعلين فى مجالات معينه ، كتعريف يتلائم مع طبيعة الدراسه ، كانت النتيجه : وجود انماط من البيانات لم تكن تحظى فى السابق بالاهتمام . وتطلب ذلك ادوات ووسائل وطرق يمكن بواسطتها تجميع وتحليل البيانات . ان اتجاهات ومشاعر وادراكات وتوقعات وقيم ودوافع الافراد ، وتفضيلاتهم ، اصبحت على سبيل المثال موضوعات للدراسه . وقد أدى تراكم البيانات الجديده الى تطور ادوات اضافيه ، ومناهج جديده للتحليل ، ونظريه جديده (١٨٨) وأدى تطور علم الاحصاء ، ودراسة العينات ، الى ان أصبحت هذه الوسائل متاحه من خلال المعاينه والمقابله . وبنفس الطريقه فان تكنيكات التحليل السيكلوجى وتحليل المضمون وادوات ومناهج البحث الاخرى جعلت التحليل الموضوعى لكثير من هذه المسائل امرا ممكنا . وتزايدت بالفعل بشكل كبير ، وسريع اعداد البحوث ذات الوجهه السلوكيه فى علم السياسه ، الامر الذى يؤكد اتساع تاثير المنهج السلوكى على علم السياسه ، وامكانيات وتوقعات المستقبل (١٨٩) .

ان هذه تاثيرات هامه ، ونتيجتها يجب ان تتجه الى تقدم علم يشمل كل علماء السياسه ، بحيث تتراكم الجهود فى جسد نظامى مرتب للمعرفه حول الظاهره السياسيه . فقد اسهم السلوكيون ، ومازالوا ، فى الجهد لتحويل الدراسه فى علم السياسه فى اتجاه مستوى النظريه من ثم فان افاق تطوير البحث قد تتوجها فى النهايه الجهود من اجل نظرية نظاميه .

خـــاتمه :

" يمثل البحث السلوكي انطلاقه جديده في علم السياسه "(١٩٠)

ويضيف ايستون الى مقولته هذه : ان هذا التطور الحديث يرجع الى خط متتابع من مناهج متغيره ،لفهم المجتمع . انه اكثر من مجرد استخدام لادوات ووسائل البحث العلمي ،واكثر من مجرد السعي الى درجة اكبر من الدقه ، وذلك بالنظر الى حالة علم السياسه التقليدي ، السابقه على مقدم المنهج السلوكي ،وبالنظر الى اثراء الدراسه وطابع المعالجه ، واهداف وآفاق البحث السياسي في ظل هذا المنهج السلوكي .

قد يحدد العلم على انه " جسد للفكر النظامي المرتب " . حول تحديد مسألـــه يتناولها البحث (١٩١) ، ولعل الكثيرين من علماء السياسه يتفقون حول مثل هذا التعريف على الاقل اجرائيا ، وفي الماضي ربما كان الباحثون قد قبلوا تعريفا مشابها ،وراحوا يجمعون نصائح الامير ، ويحللون القوانين ، ويجمعون الدساتير ....

اما في النصف الثاني من القرن العشرين ، حيث عصر التحليل ، وعصر القلـــق – والوصفان يكمل بعضها بعضا – فان التقدم العظيم في العلوم الطبيعيه قد ادى الى عدم الرضا ،نتيجة الدرجه المتواضعه من التطور في العلوم الاجتماعيه . والحقيقه ان علم السياسه اثار مشاعر اضافيه من عدم الرضا لحالته المتدنية مقارنة بالتطور النسبي الذي لحق بالعلوم الاجتماعيـــه .

ربما يرجع هذا التواضع الى التعقيد الذي تتسم به القضايا الاساسيه في العلوم الاجتماعيه وقضايا علم السياسه اكثر تعقيدا . وهذا التعقيد يفرض صعوبات في البحث والتحليـــل ، وتتزايد هذه الصعوبات نتيجة عدم الاتفاق حول الافتراضات والاجراءات وطرق التفســـير وخصائص النتائج التي تتضمنها الدراسات النظاميه لعلم السياسه . وينعكس هذا التعقيد على الامثله ،والاستثناءات التي يتطلبها الفحص والتدقيق ، وبدرجة الدقه الملائمه (١٩٢)

لقد قيل بان علماء السياسه يجبان يطمحوا الى بناء نظريه ،لعلم السياسه ، قابلـه للتطبيق (١٩٣) . والمنهج السلوكي يمثل اختبارا في راي ايستـــون لتقدم عصر النظريـــه لتتزاوج مع الالتزام بافتراضات العلم الامبيريقي (١٩٤) .

وعلى نحو يخالف النظريات التقليدية فـــى الفكر السياسى فى الماضى ،فان نظريـة جديده تميل لاتكون تحليليه ، واقعيه ، واساسيه . وليست خاصه ،او تامليـــه او اخلاقيه . وهذا الجانب من البحث السياسى ،الذى يشارك فى تلك الالتزامـات بكلامن النظريه الجديده ،والادوات الفنيه للتحليل ،والتحقق - والذى من شأنـــه ان يربط علم السياسه بالاتجاهات الاوسع فى العلوم الاجتماعيه - وانطلاقا من هـــذا يكتسب هذا الجانب طابعه ووصفه كسلوك سياسى . وهذا هوالمعنى او المغزى الكامل وفن ايستون ، للمنهج السلوكى فى علم السياسه اليوم .(١٩٥)

والمنهج السلوكى يقدم لعلم السياسه اسهامين لايمكن تجاهلهما :

اولهما : اللحاق بالعلوم الاجتماعيه الاخرى التى قطعت شوطا فى طريق تطورها

وثانيهما : مستقبل وآفاق البحث السياسى .(١٩٦)

بعباره اخرى فان تقيم اثر المنهج السلوكى فى علم السياسه يشير الى نتيجتين رئيسيتين :

اولا :

ان ثمة تحولات جزريه قد احدثها هذا المنهج ،وان هذه التحولات ،فى علم السياسه التقليدى ،تمثل جزء لاينفصم من تحولات عميقه اوسع تجرى فى العلوم الاجتماعيه ككـل ، فالعلوم الاجتماعيه تتقدم معا الى مرحلة جديده ،مرحلة تتميز بالنضج العلمى المتزايد .

ثانيـا :

ان دور وتاثير المنهج السلوكى اكثر من مجرد ادخال الطرق والادوات والاساليـب العلميه الى العلوم السياسيه . فالمنهج السلوكى ،والتوجه السلوكى ، ارتبط باثـــراء ، ونضج ، للبحث السياسى ،اتسعت افاقه وابعاده كل لحظه .(١٩٧)

رغم ذلك ،فان هذا الدور والتاثير لم يكـن موضع اتفاق الجميع ، حيث تباينت الآ راء والاتجاهات فى تقييمه : البعض يؤيده ، والبعض الاخر ينتقده . ومن خلال ذلـــك تطور الدور ، والاسهام ، الذى اضافه المنهج السلوكى الى علم السياسه .

((هـــوامش الدراســـه))

١ - HeinZ Eulau Politics, Self, and Society - - A Theme and Variations (Combrise, Massachusetts: Harvard Univ. Press, 1986) P.19

٢ - David Easton. "The Current Meaning of (Behavioralism) in Political Science". in: Howard Ball & Thomas P. Lauth, Jr. (eds.) Changing Perspectives in Contemporary Political Analysis (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice- Hall, Inc., 1971) P.92.

٣ - Robert A. Dahl "The Behavioral Approach in Political Science: Epitaph for a Monument to a Successful Protest". in: Howard Ball & Thomas P. Lauth, Jr. (eds.) Ibid. P. 108

٤ - David Easton op.cit. P.93

٥ - Idem.

٦ - Robert A. Dahl op.cit. PP.108-109

٧ - انظر David Easton op.cit. P.94 حيث يؤكد ايستون ذلك ،بالرغم من وجود بعض الرموز المشتركه بين الداعين للمنهج السلوكي ،كميلهم الى ان ينشروا اعمالهم من خلال عدد محدد من الدوريات في الولايات المتحده مثل :-
World Politce, Public Opinion Quarterly, The American Behavioral Scientist, and Behavioral Science.
كما ارتبطت الحركه بدرجة محدوده من التخصص في اختيار اشرى الكتب

٨ - Evron Kirkpatrick. "From last to Present". in:Donald M. Freeman(ed.) Foundation of Political Science:Researh,

Methods, and Scope (New York: The Free Press, 1977) P.24

٩ - Dennis Kavanagh Political Science and Political Behavior (London: George Allen & Unwin,1983) P.9

١٠ - Robert Dahl. op.cit. P.113

١١ - Idem.

١٢ - Idem.

١٣ - يكرر داهل فى كتاباته تعبير الميل اوالشعور اوالمزاج السلوكى ، للتعبير عن المنهج السلوكى . انظر مثلا Robert Dahl. Ibid. P.118, P.119 ومع ذلك فان تحليلات ايلو تؤكد على اهمية ومحورية المنهج السلوكى ، والسلوك السياسى . راجع :

Heinz Eulau.op. cit. P.19

١٤ - انظر Robert Dahl. Ibid. P.114. حيث يورد المثل لكتاب :

Vernon Van Dyke. Political Science: A Philosophical Analysis (1960).

١٥ - وفق ما اورده داهل على لسان Alfred de Garzia والذى يفترض ان المصطلح قد استطار وانتهى امره .

انظر : Robert Dahl. , Ibid. P.114.

١٦ - Idem.

١٧ - انظر : Ibid. P.113

وانظر ايضا :

David Easton. The Political System- An Inquiry into the State of Political Science (New York:Alfred A. Knoph, 1953) PP.201-205.

١٨- Robert Dahl, Ibid. PP.114-115

١٩- Ibid. P.115

٢٠- Evron Kirkpatrick. "The Impact of the Behavioral Approach on Troditional Political Science." in:Howard Ball & Thomas P. Lauth, Jr. (eds.)op. cit.,P.78

٢١- Graham Wallas. Human Nature in Politics (New York. Houghton Mifflin, 1908)

٢٢- Arthur Bentley. The Process of Government (Bloomington, Ind. : The Principia Press, 1908)

٢٣- Evron Kirkpatrick. The Impact of The Behavioral Approach on Traditional Political Science. op.cit.,P.78

٢٤- وعلوم الجغرافيا والاحصاء وغيرها . انظر :
Charles E. Merriam; "The Present State of the study of Politics" The American Political Science Review. vol.15 (1921)PP.173-185.

٢٥- هناك من يرجعها الى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين
انظر على سبيل المثال :
E. Kirkpatric. From Past to Present op.cit.,P.24.

٢٦- David Easton. The Political System- An Inquiry into the Political Science. op.cit.,P.203;

٢٧- Robert Dahl. op. cit., PP.108-109

٢٨- E. Kirkpatrick. From Past to Present, op.cit., P.26

٢٩- Ibid., PP.26-27

٣٠- Robert Dahl. op.cit., P.109

٣١- Charles E. Merriam. New Aspects of Politics (Chicago: Univ. of Chicago Press, 1925)

٣٢ - وذلك فى قسم العلوم السياسيه بجامعة شيكاغو بالولايات المتحده، سواء كانوا اعضاء بهيئة التدريس، او طلاب دراسات عليا، وذكر منهم داهـــل

V.O. Key, Jr. & David Truman &
Herbert Simon & Gabriel Almond.

وأكد داهل ان تاثير هذه المجموعه، او ما اسماه بمدرسة شيكاغـو كان اكثر قوه ووضوحا، وان لم تكن شيكاغو هى المكان الوحيد للطريقة الجديده للامبيريقيه العلميه " وفق تعبيـره .

انظـر : Robert Dahl. op.cit., P.109

٣٣- E. Karkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science. op.cit., P.78

٣٤ - من اهم كتاباته :-

- George Catlin. The Science and Method of Politics (London: Kegan Paul, Trench, Trubner, and Co. Ltd., 1927).

- George. Catlin. A Study of the Principles of Politics (New York: The Macmillan Co., 1930)

٣٥- E. Kirkpatrick The Impact of the Behavioral Aggroach on Traditional Political Science. op.cit., P.78.

٣٦ - انظـر : Ibid: P.79 الامر الذى يؤكد اهمية اعتبار منهج السلوك السياسى جزء من حركة اوسع داخل العلوم الاجتماعيه

٣٧ - Robert Dahl. op. cit., PP.109-110.

٣٨ - فى اقسام العلوم السياسيه والاجتماع وغيرها ، اعتمادا على ملائمة نظريات علم الاجتماع ، وحتى علم النفس لفهم علم السياسه . ويذكر داهـل امثلة لهـؤلاء :

Franz Neumann & Sigmund Neumann &
Paul Lazarsfeld & Hans Speier &
Hans Gerth & Reinhard Bendix

وكثيرين غيرهم ممن مارسو : تاثيرا عميقا بشكل مباشر ، او غيرمباشـر على البحث السياسى :

راجـع : Ibid., P.110

٣٩ - Idem.

٤٠ - David Easton. "Introduction: Alternative Stratogies in Theoretical Research". in: David Easton(ed.) varieties of Political Theory (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1966)PP.1-13

٤١ - Robert Oahl op.cit.,P.110

٤٢ - لمزيد من التفصيل : E. Kirkpatrick. From Past to Present. op.cit., PP.22-28.

٤٣ - وذلك فى اطار نشاط قسم العلوم السياسيه بجامعة متشجان الامريكيه ، فـى آنا تمر مع مجلس بحوث العلوم الاجتماعيـــــه SSRC وقد نظمت اعمال هذا المؤتمر موضوعات السلوك التصويتى والاتجاهات السياسيه والجماعات ، والمشكلات المنهجيه ، وموضوعات السياسه الاقليميه ، الى جانب التعريف بمصطلح السلوك السياسـى .

٤٤ ـ وذلك وفق المهمه التى حددت للجنه الجديده التى انشاها مجلس بحوث العلوم الاجتماعيه حول السلوك السياسى فى عام ١٩٤٩ ، والتى حددت مهمتها فى عام ١٩٥٠ واصبحت هذه اللجنه تمثل دافعا قويا لتنشيط ونمو البحث فى المنهج السلوكى ، كما بدا توفر منحا للبحوث راجع :ـ

Robert Dah , op.cit.,P.111

٤٥ ـ لمزيد من التفصيل حول تطور دراسات السلوك التصويتى ٠ انظر :

Ibid., PP.11-112

٤٦ ـ David Easton. The Current Meaning of Behavioralism in Political Science. op.cit.,PP.99-100

٤٧ ـ Ibid., PP.100-101

٤٨ ـ Ibid., P.101

٤٩ ـ Ibid.,PP.101-102

٥٠ ـ Ibid., P.102

٥١ ـ والذى انتخب فى عام ١٩٥٠ رئيسا للجمعيه الامريكيه للعلوم السياسيه ، ثم بعد ذلك ثلاثه من الاربعه الاعضاء فى لجنة السلوك السياسى التى انشأها مجلس بحوث العلوم الاجتماعيه ، الامر الذى احدث فى راى داهل تغيرا ثوريا لم يكن متوقعا ويشكل نقطة تحول ٠ راجع :

Robert Dahl op.cit., P.113

٥٢ ـ David Easton. The Current Meaning of Behavioralism in Political Science. op.cit.,PP.104-106

٥٣- Ibid., P.104

٥٤- Ibid., P.105

٥٥- Ibid., P.106

٥٦- Ibid., PP.103-104

٥٧- Ibid., P.104

٥٨- Idem.

٥٩- Ibid., P.106

٦٠- Herbert A. Simon "Political Research: The Decision - Making Framework" in: David Easton (ed.) Varieties of Political Theary.op.cit., P.15

٦١- Ibid., PP.15-16, P.21
حيث يتناول سيمون الاجابه عن السؤال " ماذا يعنى صنع القرار " ويبحث الحاجه الى " نظرية ديناميكيه صحيحه " وعن لغة نظريـة صنع القـــرار .

٦٢- David Easton. The Current Meaning of Behavioralism. op.cit.,P.106

٦٣- Idem.

٦٤- Roy C. Macridis Interest Groups in Comparative Analysis. The Journal of Politics. vol.23 No.1 (February 1961) PP.25-45 esp. at P.45.

٦٥- David Easton. The Current Meaning of Behavioralism. op.cit.,PP.106-107

٦٦ - Ibid., P.107

٦٧ - Idem.

٦٨ - Robert Dahl . op.cit., PP.112-113

٦٩ - يشير روبرت داهل الى اهمية الدعم الذى منحته المؤسسات المختلفه لتطوير البحوث فى هذا المجال فى الولايات المتحده ، وقد اخذت هذه المؤسسات فى تشجيع البحوث التى تاخذ بوجهة نظر التكامل المنهجى ، وكذلك الدراسات السلوكيه ، فاتجهت الى تخصيص منح للبحوث المتنافسه ، والاختيار بينها وفق معايير للاختيار تاخذ فى الاعتبار اراء الباحثين المتميزين الموثوق فى ارائهم ، بطريقة تكفل تشجيع خطط معينه وموضوعات بعينها دون غيرها . انظر :-

Ibid.,P.112.

٧٠ - E. Kirkpatrick. From Past to Present., op. cit., P.33

٧١ - Idem.

٧٢ - Idem.

٧٣ - Ibid., PP.33-34

٧٤ - Ibid., P.34

٧٥ - Robert Dahl, op.cit., P.116

٧٦ - Ibid., P.115

٧٧ - Idem.

٧٨ - David Easton. The Current Meaning of Behavioralism. op.cit., PP.95-96

٧٩ - R. Chilcote. Theories of Comparative Politics- The Search for a Paradigm (Boulder, Colorado:Westview Press, Inc. 1981) PP.57-58.

٨٠ David Easton. The Current Meaning of Behaviorolism, op. cit., PP. 95-96.

٨١- Ibid., P.95.

٨٢- E. Kirkpatrick. From Past to Present. op. cit., PP. 23-24.

٨٣- Ibid., P.23.

٨٤- Ibid., PP.23-24

٨٥- Ibid., P.24

٨٦- Idem.

٨٧- E. Kirkpatrick. The Impact of the behavioral Approach on Traditional Political Science, op. cit., P.77.

٨٨- David Easton. The Current Meaning of Behavioralism, op.cit., P.95.

٨٩- Ibid., PP.96-97.

٩٠- Heinz Eulau, op.cit., PP.19-20.

٩١- Ibid., P.20

٩٢- Idem.

٩٣- Idem.

٩٤- Ibid., P.19

٩٥- هذه الافعال قد تكون مفيده وطيبه لصاحبها وللآخرين ،وايضا قد تكون ، وغالبا ما تكون مضاره . انظر :

E. Kirkpatrick. From Past to Present,
op.cit., P.3.

Heinz Eulan, op.cit., P.20. ـ٩٦

Ibid., P.19 ـ٩٧ ـ وذلك فى راى ايلو · انظر :ـ

Idem. ـ٩٨

Ibid., P.21 ـ٩٩

Ibid., PP.21-22 ـ١٠٠

Ibid., P.22 ـ ١٠١

Idem. ـ١٠٢

Ibid., PP.28-29 ـ١٠٣

Ibid., P.30 ـ١٠٤

Ibid., P.72 ـ١٠٥

Michael G. Roskin et al. Political Science- An Introduction (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice- Hall, 1988) P.19. ـ١٠٦

E. Kirkpatrick. From Past to Present. ـ١٠٧
op. cit., P.37.

١٠٨ - Christian Bay. "Politics and Pseudopolitics:A Cnitical Evaluation of Some Behavioral Literature". in: Howard Ball & Thomas P. Lauth, Jr. (eds.) op.cit, PP. 144-145.

١٠٩ - Heinz Eulau, op.cit., P.22.

١١٠ - Ibid., P.23

١١١ - David Easton. The Current Meaning of Behavioralism, op.cit., P.107

١١٢ - Idem.

١١٣ - Heinz Eulau.op. cit., P.23

١١٤ - Ibid., PP.23-24.

١١٥ - Ibid.,P.24.

١١٦ - Idem.

١١٧ - Idem.

١١٨ - انظر على سبيل المثال :
E. Kirkpatrick. From Past to Present, op. cit., P.23

١١٩ - Heinz Eulau. op. cit., P.24.

١٢٠ - Ibid., P.25

١٢١ - Ibid., P.33

١٢٢ - Idem. وللمزيد من التفصيل عن الدور كوحدة اساسية للتحليل راجع : PP.33-35. وما بعدها .

١٢٣- David Easton. The Current Meaning of Behavioralism, op. cit., PP.106-107

١٢٤- William Buchanan. Understanding Political Variables (New York: Charles Scribner's Sons, 1969) P.1

١٢٥- Idem.

١٢٦- E. Kirkpatrick. From Past to Present, op. cit., P.23

١٢٧- Heinz Eulau , op.cit., PP.25-26

١٢٨- Ibid., P.26

١٢٩- Eugene Meehan. The Limits of Beharioralism Subject Matter- The Social and the Physical" op.cit., P.125.

١٣٠- Heinz Eulau, op.cit., P.26.

١٣١- Idem.

١٣٢- Ibid., PP.26-27

١٣٣- Ibid., P.27 : بفضل التكامل المنهجي . راجع :

١٣٤- David Easton. The Current Meaning of Behavioralism, op. cit., P.92.

١٣٥- E. Kirkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science, op.cit., PP.73-74.

١٣٦- عن هذه التحديات راجع :- Howard Ball & Thomas P. Lauth, Jr. (eds.) op.cit., PP.57-64.

١٣٧ - David Easton. Introduction: Alternative Strategies in Theoretical Research, op.cit., P.1

١٣٨ - Jessica Kuper (ed.) Political Science and Political Theory (London & New York: Routledge & Kegan Paul, 1987) P.X^V.

١٣٩ - Idem.

١٤٠ - راجع :

-Roy C. Macridis "A Survey of the Field of Comparative Politics" in: Harry Eckstein & David E. Apter (eds.) Comparative Politics (New York: The Free Press, 1963) PP.43-46.

-Dennis Kavanagh. op.cit., PP.2-4.

١٤١ - Roy C. Macridis, Ibid., P.47.

١٤٢ - انظر مثلا Ibid., P.51.

وعن الانتقادات التى اخذت توجه الى الدراسه التقليديه لعلم السياسه والتى تركز على الجوانب الشكليه : القانونيه والمؤسسيه . راجع :

Dennis Kavanagh, op. cit., PP.4-5.

١٤٣ - E. Kirkpatrick. From Past to Present, op.cit., PP.22-28.

١٤٤ - تجاهلت الدراسات التقليديه اهمية العوامل والاوضاع الاجتماعيه ،وغير الرسميه ، فى ممارسة القوه السياسيه . راجع :

Morton R. Devies & Vaughan A. Lewis. Models of Political Systems (London: Pall Mall Press, Ltd., 1971) P.85.

١٤٥ - Roy C. Macrid. A Survey of the Field of Comparative Politics op.cit., P.48.

وبعض العلماء يرجعون المقارنه الى تحليلات ارسطو لدساتير المدن اليونانيه القديمه . راجع :-

Robert T. Holt & John E. Turner." The Methodology of Comparative Rosearch" in: Robert T. Holt & John E. Tuner (eds.) The Methodology of Comparative Research (New York : Free Press, 1970) PP.4-5

١٤٦ - اتاح ادخال الدول النامية الى الدراسه امكانية معالجة نظم سياسيه عديده مختلفه . انظر :

Mo ton R. Devis & Vaughan A. Lewis, op.cit.,P.85

١٤٧ - Gabriel A. Almond. Comparative Political Systoms. The Journal of Politics. vol. 18 No-3(August 1956,) PP. 391-409. esp. at R391.

١٤٨ - Ibid., P.393.

١٤٩ - Peter H. Merkl. Modern Comparative Politics (New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1970). PP.11-12.

١٥٠ - ينطبق هذا على الدراسات الرئيسيه المعرفه في السياسه المقارنه . انظر على سبيل المثال :

- Roy C. Macridis & Bernard E. Brown (eds.) Comparative Politics: Notes and Readings(Homewood, Illinois: The Dorsey Press, 1964) P.1

-G. Almond & G. B. Powell. Comparative

Politics (Boston: Little, Brown and Co., 1978) PP.3-10.

١٥١ - انظر مزيد من التفصيل حول المقارنه واهميتها فى الدراسه السياسيه فى :-

Karl W. Deutsch et al. Comparative Government: Politics of Industrialized and Developing Nations. (Boston: Houghton Mifflin: Co., 1981) PP;4-5

ويؤكد دويتش انه بدون المقارنات لايمكننا التحدث او التفكير

راجـــع : P.4

١٥٢- Roy C. Macridis. A Survey of the Field of Comparative Politics. op.cit.,P.51.

١٥٣- R. Chilcote. op.cit.,P.3.

١٥٤- انظر : Ibid., PP.3-5

حيث يجعلها المولف محورا لكتابه .

١٥٥- E. Kirkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science. op.cit.,P. 76

ومن امثلة هذه الدراسات :-

-V. O. Key, Jr. Southern Politics in State and Nation (New York: Alfred A. Knopf, 1949)

-D. B. Truman. The Governmental Process (New York: Alfred A. Knopf, 1951).

١٥٦- E. Kirkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science. op.cit., 11; 75-76.

١٥٧ ـ Ibid., P.76.

١٥٨ ـ Idem.

١٥٩ ـ Idem.

١٦٠ ـ Ibid., P.77

١٦١ ـ ورد ذلك فى Idem.

١٦٢ ـ Idem.

١٦٣ ـ Idem.

١٦٤ ـ Ibid., P. 79

١٦٥ ـ Idem.

١٦٦ ـ Ibid., PP. 79-80.

١٦٧ ـ Ibid., P.80.

١٦٨ ـ Idem.

١٦٩ ـ واصبح للجمعيه الامريكيه للعلوم السياسيه برامجها وانشطة الباحثين فيها فى مختلف فروع العلوم السياسيه اهمية كبيره ـ وفى عام ١٩٥٦ اعترفت الجمعيه رسميا باهتمام عدد كبير من اعضائها بالدراسات السلوكيه فى برنامج اجتماعها السنوى وسلسلة المناقشات التى دارت وكرست حول السلوك السياسى .

راجـــع .

Idem.

١٧٠ ـ من امثلة هذه الدراسات حول السلوك التصويتى دراسة ظهرت فى عام ١٩٢٨ هى :ـ

H.F. Gosnell. Getting out the Vote

(Chicago: Univ. of Chicago Press, 1928)

ودراسة جراهام والاس فى كتابه " الطبيعة الانسانيه وعلم السياسه " الذى ظهر عام ١٩٠٨ ،والذى اكد على اهمية دراسة علم السياسه للشخصيه السياسيه والتنشئه السياسيه . واعاد شارلز مريم نفر التاكيد فى كتابه " اوجه جديده لعلم السياسه " الذى ظهر فى عام ١٩٢٥ ،وفى نفر الوقت طابن لاسويل فى كتاباته فئات التحليل النفسى على البيانات السياسيه ، لتبدا فى الظهور تحت عناوين جديده أهمها :

H.rold Lasswell. Politics: Who Gets What, When, How (New York: Meridian Books, Inc.,1958)

١٧١ - E. Kirkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science. op.cit., P.81

١٧٢ - من اكثر الدراسات طموحا ونجاحا وشمولا حول الانتخابات

كتـــاب :-

A. Compbell & P.E. Converse & W.E. Miller and D.E. Stakes. The American Voter (New York: John Wiley & Sons. Inc., 1960)

ويتضمن دراسة حول الناخب الامريكى : دوافعه ، لماذا يصوت بالطريقه التى يعطى بها صوته فى الانتخابات الرئاسيه منذ عام ١٩٤٨

١٧٣ - راجع : E. Kirkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science, op.cit., P.81.

١٧٤ - وعبرت هذه الانتقادات عن استياء من قاموا بالمقابله من اهتمام الدراسه ، ومدى ما تمثله من معالجه للمسائل السيكلوجيه ، ومدى ارتباطها بالمسائل السياسيه ، واثير التساؤل ، كيف يؤثر السلوك التصويتى على النظام السياسى .

انظـــر : Idem.

١٧٥ - وهو كتاب :

T. W. Adorno et al. The Authoritarian Personality (New York: Harper and Brothers, 1950)

والذى يعتبر مثلا بارزا ، وان كانت اهميته ترجع الى المنظور المنهجى اكثر منها الى المضمون .

١٧٦ - E. Kirkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science. op.cit.,P.83

١٧٧ - Ibid., P.84.

١٧٨ - Robert T. Holt & John M. Richardson, Jr."Competing Paradigms in Comparative Polities". in: Robert T. Holt & John E. Turner (eds.) op. cit.,P.45.

١٧٩ - انظر :

Lucian W. Pye. Politics, Personality, and Nation Building- Burma's Search for Identity (New Haven: Yale Univ. Press, 1962) Passim.

١٨٠ - Heinz Eulan ., op.cit., PP.71-72.

١٨١ - Ibid., P. 69

١٨٢ - Ibid., P. 70

١٨٣ - مثال لذلك J.C. Wahlke and H. Eulau (eds.) Legislonive Behavior: A Reader in Theory and Research (Glencoe, 111: The Free Press, 1959).

١٨٤ - E. Kirkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science. op.cit.,P.84.

١٨٥ - من امثلة هذه الدراسات :

-G .A. Schubert. Quantitative Analysis of Judicial Behavior (Glencoe, 111. The Free Press, 1959)

- G.A. Schubert. Constitutional Politics (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1960).

١٨٦ - E. Kirkpatrick. The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science. op.cit., PP. 84-85.

١٨٧ - Ibid., PP.85-86

١٨٨ - Ibid., P.86.

١٨٩ - Ibid., PP.86-87.

١٩٠ - وفي الدراسات الاجتماعيه ككل . انظر :-
David Easton. The Current Meaning of Behavioralism in Political Science. op.cit., P.107.

١٩١ - E. Kirkpatrick? The Impact of the Behavoral Approach on Traditional Political Science. op.cit.,P.71.

١٩٢ - Ibid., P.70.

١٩٣ - في اي زمان ومكان . انظر :
Ibid., P. 72.

١٩٤ - في العلوم الاجتماعيه بشكل عام . انظر :

David Easton. The Current Meaning of Behavioralism in Political Science. oP.cit., P.107

١٩٥ - Idem.

١٩٦ - Ibid., PP. 98-99.

١٩٧ - Ibid.,PP.97-98